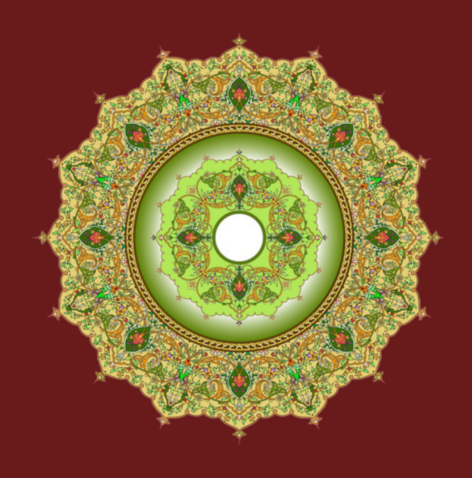
ماذا سألنا اللّه ليقول لنا:
(ولعبدي ما سأل)

الكنز المهجور في سورة الفاتحة



تأليف

الدكتور / محمد بن أحمد بن محمد الجحلان

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجحلان، محمد بن أحمد بن محمد
ماذا سألنا الله ليقول لنا: ولعبدي ما سأل
(الكنـز المهجور في سورة الفاتحة)
محمد بن أحمد بن محمد الجحلان. - الرياض، ١٤٣٥ هـ
ط ١ - الرياض، ١٤٣٥ هـ
ص٩٦؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٥-٤٤٩٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن - التفسير الحديث
٢- القرآن - سورة الفاتحة - تفسير أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ٢٥٢٥/ ١٤٣٥

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٢٥٢٥
ردمك: ٥-٤٤٩٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية
١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م


بسم الله الرحمن الرحيم





بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، أمّا بعد:

نحن نقرأ سورة الفاتحة في اليوم والليلة سبع عشرة مرة في الصلوات الخمس، لأن من لم يقرأ سورة الفاتحة في صلاته، فصلاته غير تمام. كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[1] قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[2] قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[3] قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي» وَقَالَ مَرَّةً: «فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ:

(١) [الفاتحة: ٢].

(٢) [الفاتحة: ٣].

(٣) [الفاتحة: ٤].



﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[1] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[2] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[3].

وقد سمى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سورة الفاتحة بـ«الصلاة» لأنها لا تتم إلا بها.

فهل نحن عندما نقرأ سورة الفاتحة ممن قال الله لهم: «**ولعبدي ما سأل**»؟ لأن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لن يقول: «**ولعبدي ما سأل**» إلا إذا استحضرنا ما سألناه.

فنحن قد سألنا الرب - سبحانه - العون والهداية بعد أن قدمنا له ما يستحقه من الحمد والثناء والتمجيد والتوحيد.

ولذلك يجب علينا أن نستفيد مما في هذه السورة العظيمة مما علمنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فلا نختم السورة ونقول: «آمين» إلا وقد حصلنا على ما أعطانا الله عندما يقول سبحانه: «**ولعبدي ما سأل**».

ولكي يقول لنا ربنا سبحانه: «**ولعبدي ما سأل**» فلا بد أن نتدبر ونستحضر في قلوبنا ما سألناه من العون والهداية.

فنسأله العون على عبادة الله العبادة الصحيحة، والعون على كل أمر من أمور الدنيا، بحيث لا يكلنا ربنا إلى أنفسنا طرفة عين، وذلك عندما نقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

ونسأله الهداية إلى الصراط المستقيم في كل حركة نقوم بها في أمور ديننا وأمور

---

(١) [الفاتحة: ٥].
(٢) [الفاتحة: ٦-٧].
(٣) مسلم: (٨٧٨)، الإمام أحمد في المسند: (٧٢٩١)، أبو داود: (٨٢١)، الترمذي: (٣١٨٤)، ابن ماجه: (٨٣٨)، وهذا لفظ مسلم.



دنيانا، منذ أن نستيقظ حتى وقت النوم، نسأله سبحانه الهداية في كل عمل نعمله صغيرًا أو كبيرًا، فنكون بذلك ممن يمشي على الطريق الذي يُرضي ربنا – سبحانه – وهو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، لا طريق المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق ويجحدونه، ولا طريق الضالين الذين لا يعرفون الحق ولم يحاولوا البحث عنه، كل ذلك نستحضره عندما نقرأ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾.

وقبل ذلك لابد أن نتدبر ونستحضر الحمد والثناء والتمجيد الذي يرضاه منا ربنا – سبحانه – حتى يقول لنا ربنا: «حمدني عبدي» ويقول: «أثنى علي عبدي» ويقول: «مجدني عبدي» وذلك عندما نقرأ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾.

من هذا نفهم أن سورة الفاتحة أمرها عظيم، وقد أخبرنا بذلك نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أَبي سعيد بن المُعَلَّى، قال: كنت أُصَلِّي في المسجد، فدعاني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أجِبْه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي. فقال: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ»: ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[(١)]! ثُمَّ قال لي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ» ثم أخذ بيدي، فلمّا أراد أن يخرج قلتُ له: ألم تقلْ لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن! قَالَ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[(٢)] «هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[(٣)].

---

(١) [الأنفال: ٢٤].

(٢) [الفاتحة: ٢].

(٣) البخاري: (٥٠٠٦)، (٤٤٧٤)، الإمام أحمد: (١٧٨٥١).



وسورة الفاتحة نور أُعْطِيَه نبيُّنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُعْطَه نبيٌّ قبله.

عن ابن عبَّاس قَال: بينما جبريل قاعد عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع نقيضًا من فوقِهِ، فرفع رأسه، فقال: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ. فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»[1].

وهذا الحديث يدل على عِظم البشارة التي فُتح لها باب من السماء لم يُفتح قط إلا ذاك اليوم، ونزل بها ملك لم ينزل للأرض إلا ذاك اليوم، حيث بشّر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنورين أُوتِيَهما لم يُؤتَهُما نبي قبله، وسورة الفاتحة هي أحد هذين النورين، وهي كلها عطاء من الله لمن يقرؤها بتدبر، وكلها عطاء لمن استحضر عطاءً يريده من الله عندما يقرؤها بفهم وتدبر، فقد قال البشير: «لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعْطِيتَه».

ولهذا فلا عجب أن تكون سورة الفاتحة رقية وفيها شفاء للناس. وقد فتح الله على أبي سعيد الخدري وعرف ذلك، وأيده الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبَوا أن يضيِّفوهم، فلُدغ سيد ذلك الحي، فسعَوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء! فأتَوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لُدغ، وسعَينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني

(١) مسلم: (١٨٧٧).



لأرقِي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا بِرَاقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلًا! فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفُل عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبة. قال: فأوفَوهم جُعْلَهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا. فقدموا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكروا له، فقال: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»[1]. وهذا لفظ البخاري. وفي فتح الباري بشرح صحيح البخاري: «مَا بِهِ قَلَبَةٌ» بفتح اللام بعدها موحدة. أي ما به ألم يُقْلَب لأجله على الفراش[2].

وإذا علمنا عظم وفضل سورة الفاتحة التي سماها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالصلاة ولا تتم الصلاة بدونها، علمنا عظم إقامة الصلاة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. الصلاة التي عرف قيمتها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان يُكثر من الصلاة حتى تفطرت قدماه، وكانت قرة عينه في الصلاة، وإذا حزَبه أمر فزع إليها يصلي مطبقًا قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[3] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[4].

هذا، وإن تدبر القرآن والبحث عن الحق واجب على كل مسلم، كلٌّ حسب استطاعته، حتى لا يكون من الضالين الذين لم يبحثوا عن الحق مع علمهم بجهلهم به.

---

(١) البخاري: (٥٧٤٩)، مسلم: (٢٢٠١).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٢١٠).
(٣) (البقرة:٤٥).
(٤) (البقرة:١٥٣).

وبعد معرفته للحق يأتي الإيمان به واتباعه وتطبيقه، ليكون من الذين أنعم الله عليهم، متجنبًا طريق المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق ويجحدونه.

و في هذه القراءة سوف نحاول أن نتدبر ونفهم هذه الآيات من سورة الفاتحة حتى نحصل على الفائدة المرجوة منها، الفائدة التي لا تتحقق إلا عندما يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**حمدني عبدي**» ويقول: «**أثنى عليّ عبدي**» ويقول: «**مجدني عبدي**» ويقول: «**هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل**» ويقول بعد آخر آية: «**هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**».





الاستعاذة

إن أمر الاستعاذة بالله عظيم ولا يعرف معناها إلا العارف بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. لذلك نرى أن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما استعاذت منه المرأة، أقر لها هذه الاستعاذة فقال لها: «لقدْ عذتِ بعظيم» وطلقها.

فقد روى البخاري في صحيحة عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن ابنة الجَوْنِ لما أُدْخِلَت على رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك! فقال لها: «لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيم، الحَقِي بِأَهْلِك»(١) وفي رواية قال: «قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ»(٢) أي بالذي يُستعاذ به ويُستجار. فالرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف بمن استعاذت، ويعرف عظم هذه الاستعاذة بالله. وقد روى أبو داود في سننه، وصححه الألباني، عن ابن عمر أن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ»(٣).

ومريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ عندما تمثل لها جبريل بشرًا سويًّا، وهي لا تعرفه، استعاذت منه، وتوقعت منه أن يمتثل لاستعاذتها؛ لأنها رأت فيه علامات التقوى، وهي تعلم أن التقي يعرف معنى الاستعاذة، وقد اختارت لاستعاذتها صيغة تحميها ولا تؤثر على الذي ترى أنه تقي، كما أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾(٤) فاختارت اسمًا من أسماء الله الحسنى وهو «الرحمن».

---

(١) البخاري: (٥٢٥٤).

(٢) أخرجها البخاري (٥٢٥٥) من حديث أبي أسيد.

(٣) أبو داود: (١٦٧٢)، (٥١٠٩)، الإمام أحمد: (٥٣٦٥)، النسائي: (٢٥٦٨).

(٤) (مريم:١٨).



التجأت إلى الرحمن ليسبغ عليها من رحمته دون أن يحول بينها وبين ما جاء به هذا الذي تراه أمامها من خبر، ولعله يكون جاء لها بخير، وهذا من عظيم حكمتها وعدم استعجالها، ومن فقهها أيضًا بأسماء الله الحسنى حيث اختارت هذا الاسم في الاستعاذة، ولعلها لو قالت: (أعوذ بالله منك) لذهب عنها وتركها، ولكنها استعاذت بالرحمن، وقد حقق الله لها ذلك، ووهب لها رحمة منه سبحانه عندما بشرها بالغلام الذي قال عنه: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[١] فقال: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ فهو رحمة من الرحمن سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في كل أحواله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأن الله هو الذي أخبر بأنه كذلك.

معنى الاستعاذة:

جاء في لسان العرب: عاذ به يعُوذ عَوْذًا وعِيَاذًا ومَعَاذًا: لاذ به ولجأ إليه واعتصم. ومَعَاذ الله؛ أي عِيَاذًا بالله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾[٢] أي: نعوذ بالله مَعَاذًا أن نأخذ غير الجاني بجنايته. والمَعَاذ: الذي يُعاذ به. وعاذ بمَعاذ؛ أي لجأ إلى ملجإ ولاذ بمَلاذ. والله عَزَّوَجَلَّ مَعاذ من عاذ به وملجأ من لجأ إليه. والمَلاذ مثل المَعاذ؛ وهو عياذي؛ أي ملجئي. وعُذت بفلان واستعذت به؛ أي لجأت إليه. وقولهم: مَعاذ الله؛ أي أعوذ بالله معاذًا[٣]. اهـ

صيغ الاستعاذة:

الاستعاذة نوع من الدعاء يلتجئ ويلوذ به العبد بربه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ. وقد بين لنا ربنا سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وبين لنا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صيغ الاستعاذة بأسماء الله

---

(١) (مريم:٢١).

(٢) (يوسف:٧٩).

(٣) لسان العرب (باب: ع و ذ).



الحسنى (أعوذ بالله، أعوذ بالرحمن، أعوذ بك ربي) وكذلك الاستعاذة بصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ) (اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ) وجاءت بعض هذه الصيغ مرة مطلقة بدون ذكر المستعاذ منه، ومرة مقيدة بذكر المستعاذ منه، وكل صيغة لها مناسبتها الخاصة بها، وتأثيرها الخاص، كما جاء في القرآن والسنة.

وسوف نذكر صيغة الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، أما الصيغ الأخرى فسوف نذكرها عندما نصل لتلك الآيات من القرآن بإذن الله تعالى.

الاستعاذة باسم (الله):

جاءت مقيدة بذكر المستعاذ منه، وجاءت مطلقة بدون ذكر المستعاذ منه.

فمن الصيغ المقيدة:

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم):

استعاذة باسم (الله) مقيدة بذكر المستعاذ منه، وهو الشيطان الرجيم، وهي تعني اللجوء والمَلاذ بالاسم الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العُلا وهو (الله)، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اسم الله جَلَّ جَلَالُهُ هو الجامع، ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه، فيقال: الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار، من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١]. [٢] اهـ.

وجاء في كتاب تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي: واسم «الله» هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العلا. والله أعلم. اهـ.

---

(١) (الأعراف: ١٨٠).

(٢) طريق الهجرتين (١/ ٩٣).



فتكون الاستعاذة باسم الجلالة (الله) هي الالتجاء إلى الله والاعتصام به - سبحانه - بكلّ أسمائه، فيكون باسمه (السميع) الذي يسمع استعاذتنا به، ويسمع وسوسة الشيطان، ولا نسمعها نحن، بل نشعر بها. والالتجاء باسمه (العليم) الذي يعلم مدى إخلاصنا واستحضارنا لمعنى الاستعاذة، وهو سبحانه يعلم طرق ومداخل الشيطان، ويعلم كيف يصده عنا. وباسمه (البصير والقادر والعزيز والقوي والجبار والرحمن الرحيم والملك) الذي يملك كل مصادر الشيطان وأسبابه في الوسوسة. نعوذ به سبحانه بكل أسمائه التي نعلمها والتي لا نعلمها ليحفظنا حفظًا عامًّا تامًّا عندما تكون الاستعاذة باسم (الله) ولذلك لابد عند الاستعاذة بالله من استحضار كل تلك المعاني حتى تحصل الفائدة منها.

يقول ابن القيم في «الجواب الكافي» : إن الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًّا لا آفة به، والساعد ساعد قوي، والمانع مفقود، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثَمَّ مانعٌ من الإجابة، لم يحصل الأثر[١]. انتهى.

ثم إن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بيَّن لنا في هذا القرآن الصيغةَ الصحيحة للاستعاذة من هذا العدو المبين، عندما قال لنا: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[٢] فهذه صيغة الاستعاذة عندما نقرأ القرآن، وجاءت بنفس اللفظ من غير زيادة ولا نقصان: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

(١) الجواب الكافي (١/ ٢٦).

(٢) (النحل:٩٨).



يقول القرطبي في مقدمة تفسيره: أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه، وهو قول القارئ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم). وهذا اللفظ هو الذي عليه الجمهور من العلماء في التعوذ لأنه لفظ كتاب الله تعالى. وروي عن ابن مسعود أنه قال: قُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ أُمِّ عَبْد، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، هَكَذَا أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عَنِ الْقَلَمِ»[(١)] انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

و قد ورد النص بذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في «الصحيحين» عن سليمان ابن صُرَدٍ قال: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ، مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ»[(٣)].

وهذه الأدلة تبين حضور الشيطان عند قراءة القرآن، وحضوره عند الغضب. وكذلك تبين أن النص الصحيح للاستعاذة من الشيطان في هذه الأوقات هو قولنا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو السميع العليم، يعلم بحضور الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن ويسمع وسوسته، ولذلك بين لنا هذه الصيغة من الاستعاذة لكي يحمينا منه. فالحمد لله رب العالمين على ذلك.

---

(١) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٢٢ - ١٢٤) وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٣٩٠٣).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٨٦ - ٨٧).

(٣) البخاري: (٣٢٨٢)، مسلم: (٦٦٤٦) وهذا لفظ البخاري.

والرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى يعلم أن المسبب لغضب الإنسان هو الشيطان الرجيم، ولذا أخبرنا عن أفضل طريقة وأفضل صيغة لطرد هذا الشيطان.

وكذلك بين لنا ربنا سبحانه حضور الشيطان في بداية أي حوار بين طرفين، والذي يحرص فيه هذا الشيطان على أن يجعل الطرفين لا يسمعان إلا المعنى السيئ من كلام بعضهما بعضًا، فهو ينتظر من أحد الطرفين أي لفظة لها احتمال تأويلٍ سيئ فيقذف هذا التأويل السيئ في قلب الطرف الآخر فينزغ بينهما، وهكذا يتنقل بين الطرفين حتى يصلا إلى مرحلة الغضب واحمرار الوجه، وفيها يفقد كل منهما صوابه، وتكون النتيجة ما لا يحمد عقباه.

وقد حذرنا ربنا سبحانه من هذه البداية السيئة، وأخبرنا أن ننتقي أحسن القول حتى لا نجعل للشيطان بابًا لتأويل الكلام إلى معنى سيئ، فقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[١] فأمرنا - سبحانه - أن نختار من القول أحسنه، ولا ندعَ فوق هذا الأحسن أحسن منه، حتى نقطع الطريق على الشيطان. أما إذا نسي الإنسان وتكلم بكلمة أقل مما هو أحسن، فاستغلها الشيطان لينزغ بينه وبين من يحاوره، ففي هذه الحالة أيضًا لم يتركنا ربنا للشيطان، بل بين لنا أيضًا الطريقة لقطع السبيل على الشيطان، فقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[٢] فنقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وهو ما أخبر به الرسول ﷺ عندما رأى الرجل المغضب وقد احمر وجهه، حيث قال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال:

---

(١) (الإسراء:٥٣).

(٢) (الأعراف:٢٠٠).



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فالاستعاذة ضمان من الله ومن رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لذهاب ما يجد المغضب في نفسه.

فوائد الاستعاذة بالله:

عندما يقول المستعيذ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فإنه لابد أن يستحضر في قلبه أنه يدعو الله دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

فدعاء العبادة: أن يتعبد المؤمن الله بهذا الدعاء، ويتشرف بأنه استعاذ بمَعاذ واستعاذ بعظيم كما قال الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأنه تخلى عن الاستعاذة بالمخلوق الضعيف الذي لا يستطيع أن ينفع نفسه فكيف ينفع غيره؛ لأنه يعلم أن هذا المخلوق المستعاذ به قد يضر المستعيذ به كما أخبر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن الذين يستعيذون بالجن كيف زادوهم رعبًا وخوفًا عوضًا عن الطمأنينة والأمان، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ۝٦﴾[1] فالمؤمن بهذا الدعاء يكون قد وحّد الله توحيد الألوهية وهو توحيد العبادة المتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

والإخلاص في دعاء العبادة شرط في تحقيق الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لدعاء المسألة والاستجابة للداعي، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

(١) (الجن:٦).
(٢) (يونس:٢٢).



﴿فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(١)] ومن يُخلِص في دعاء الاستعاذة من الشيطان الرجيم فإن الله يجيب دعاءه لإخلاصه.

وقد أقر إبليس بذلك وعرف أن المخلصين ليس له سلطان عليهم، لأن الله قد أعاذهم منه، وقد ذكر إبليس ذلك حتى لا يظهر بصورة الكاذب في دعواه عندما يتضح عدم قدرته على عباد الله المخلصين، فاستثناهم من غوايته للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[(٢)].

وقراءة (المخلَصين) بفتح اللام معناها: الذين أخلصهم الله بالهداية والإيمان والتوفيق والعصمة، وهذه القراءة تدل على أن الإخلاص والإيمان ليس إلا من الله تعالى. وقراءة (المخلِصين) بكسر اللام معناها: الذين أخلَصوا دينهم وعبادتهم عن كل شائب يناقض الإيمان والتوحيد.

أما دعاء المسألة فإن القارئ للقرآن، المستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، يسأل الله ويطلب منه المَعاذ والملجأ من الشيطان الرجيم، ليحفظه الله من أمور كثيرة. من هذه الأمور أمران:

الأمر الأول: الوقاية من غواية الشيطان، لأنه أقسم بعزة الله لَيُغْوِيَنَّ بني آدم أجمعين إلا عباد الله منهم المخلصين، وقد أخبرنا الله بذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[(٣)] وهذه الغواية يجري بها الشيطان من ابن آدم مجرى الدم. ومن غواية الشيطان أن يجعل القارئ يتبع

(١) (العنكبوت:٦٥).

(٢) (الحجر:٣٩-٤٠).

(٣) (ص:٨٢-٨٣).



ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل الباطل، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾[1].

وصور هؤلاء الذين في قلوبهم زيغ ويتبعون ما تشابه منه نراها في مذاهب وفرق أهل البدع والضلال الذين يُؤوِّلون القرآن تبعًا لأهوائهم، فيشترون به ثمنًا قليلًا، وقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم؛ وذلك لأنهم ما عرفوا عدوهم العدو المبين ولا استعاذوا منه، حتى لو نطقوا بالاستعاذة ودعَوا دعاء المسألة فإن الله لا يقبل منهم، لأنهم ما حققوا شرط دعاء العبادة بسبب إلحادهم بأسماء الله وتأويلها تأويلًا باطلًا، فمنهم من يعطِّلها ومنهم من يمثِّلها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس كمثله شيء.

وقد اشترط الله للدعاء بأسمائه الحسنى ألا يُلْحِدوا بها، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[2].

يقول القرطبي في تفسيره: قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيُطلَب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رزاق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تُب علي، وهكذا. فإن دعوت باسم عام قلت: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني. وإن دعوت بالأعم الأعظم فقلت: يا الله، فهو متضمن لكل اسم[3]. اهـ.

---

(١) (آل عمرن:٧).

(٢) (الأعراف:١٨٠).

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٣٢٧).



ويقول الطبري: وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد والجورُ عنه والإعراض، ثم يستعمل في كل معوَجّ غير مستقيم[(١)].اهـ.

قال القرطبي في تفسير ﴿ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾: يلحدون بالزيادة فيها أو بالنقصان منها. وقال: معنى الزيادة في الأسماء التشبيه، والنقصان التعطيل، فإن المشبهةَ وصفوه بما لم يأذن فيه، والمعطلةَ سلبوه ما اتصف به، ولذلك قال أهل الحق إن ديننا طريق بين طريقين، لا بتشبيه ولا بتعطيل[(٢)]. اهـ.

هذا هو الأمر الأول، وهو الالتجاء إلى الله والاعتصام به، بالاستعاذة بالله من غواية الشيطان حتى لا نقع في التأويل الباطل والإلحاد في أسماء الله ونحن نقرأ القرآن.

الأمر الثاني: أننا نستعيذ بالله من الشيطان لكي لا يصرفنا عن تدبر القرآن أثناء القراءة؛ لأن الأصل في قراءة القرآن هو التدبر ومعرفة سياق الآية حتى نأخذ بفوائدها ونطبقها، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[(٣)].

فالشيطان إذا عجز عن أن يصرف بني آدم عن القرآن كلية، وعجز أن يجعله يؤوّل القرآن التأويل الباطل، فإنه يحرص على أن يوسوس له أثناء القراءة ويلبِّس عليه حتى لا يتدبر معاني القرآن، فتجد المصلي يقرأ سورة الفاتحة وينتهي منها وهو لم يستحضر معانيها، ويقول عندما ينتهي من قراءتها (آمين) وهو لا يعلم على ماذا أمَّن، بل إنه قد يختم القرآن قراءةً وهو لم يتدبره التدبر الذي يجعله يفهم

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٥٩٨).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٣٢٨).

(٣) (ص:٢٩).



مافيه من أحكام وأوامر ونواهٍ. فالشيطان حريص على ألا نفهم من هذا الكتاب العظيم شيئًا، وأول شيء نفهمه من هذا الكتاب بعد التوحيد هو ما بيَّنه لنا ربنا من أن الشيطان للإنسان عدو مبين واضح وليس في عداوته شك، بل قد اعترف هو بذلك، وقد بين لنا ربنا عداوته في مواضع كثيرة في القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾[١].

يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: أخبر تعالى بأن الشيطان عدو، وخبره حق وصدق، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه، فقال جل من قائل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾[٢]. اهـ.

فالمستعيذ يطلب اللجوء إلى الله لحمايته من غواية الشيطان وضلاله، ويعتصم بالله من وسوسة الشيطان وتلبِّيسه حتى لا يصرفه عن تدبر القرآن، لهذا لابد أن نستحضر كل هذه المعاني عندما نقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) لكي يتحقق ما نرجوه من دعاء العبادة ودعاء المسألة في هذا الدعاء الذي اختاره الله لنا، واختار لنا الصيغة المناسبة لنتسلح به ضد هذا العدو المبين.

الاستعاذة من الشيطان خِنْزَب:

اشتكى عثمان بن أبي العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشيطان يحول بينه وبين صلاته وقراءته يلبِّسها عليه، فبين له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف يتعوذ منه.

(١) (البقرة:١٦٨. البقرة:٢٠٨. الأنعام ١٤٢).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٢٠٩).

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي العلاء، أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي؛ يَلْبِسُهَا عَلَيَّ! فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ (خِنْزَبٌ) فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا» قال: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي[(١)].

وخِنْزَب لقب لهذا النوع من الشياطين، وهو الذي يحُول بين المرء وصلاته.

جاء في «نهاية» ابن الأثير في معنى خنزب: قال أبو عمرو: وهو لقب له. والخنزب: قطعة لحم منتنة، ويروى بالكسر والضم[(٢)]. اهـ

وفي هذا الحديث الصحيح نرى كيف أن عثمان بن أبي العاص عرف وأحس بعدوه الشيطان، وعرف أن الشيطان يحول بينه وبين صلاته، لأن جُلَّ هدف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أن يخشع في صلاته، فلما وجد حائلًا بينه وبين الخشوع عرف المسبب لهذا الحائل. وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عرف الداء لكنه لم يعرف الدواء، لذلك طلبه من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره بالتشخيص الدقيق لهذا الداء، وبالطريقة الصحيحة لعلاجه.

لكن المصيبة تكمن فيمن لا يعرف أنه مصاب بهذا الداء، وهو حالُ كثير من الناس، ومن كانت هذه حاله فإنه قد لا يطلب العلاج، فيستمر الشيطان خِنْزَب في الحيلولة بينه وبين صلاته، حتى لا يفقه من صلاته شيئا، ولا يستفيد منها الفائدة العظيمة التي أخبرنا عنها ربنا عَزَّوَجَلَّ حيث يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[(٣)] فالعون الذي يحصل للمصلي لا يحصل إلا للخاشع،

(١) مسلم: (٥٧٣٨)، أحمد: (١٧٨٩٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨٣).

(٣) (البقرة:٤٥).



فيعينه الله على كل أمر من الأمور، ويتحقق له ما سأل عندما يقرأ في صلاته وهو خاشع: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (ولعبدي ما سأل).

والخشوع هو معرفة العبد قدر نفسه القدر الحقيقي، ذليلًا أمام الله، ومعرفة قدر الله حسب تعظيمه لله، ثم يوظف هذه المعرفة ليصل إلى مرحلة الخوف والرجاء التي تتفاوت من شخص لآخر حسب معرفته وعلمه، ومن ثم تطبيقه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾[1] وللوصول إلى الخشوع لابد للعبد أن يعي ويستحضر كل ما يقوله ويفعله في صلاته، من قراءة وركوع وسجود، ولا يُشتت إنتباهه إلى غير ذلك، ويستحضر عظمة الله أمامه، ليكون خاشعًا ذليلًا أمام ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والشيطان خنزب يعرف هذا كله، لذلك يحرص كل الحرص على أن يصرف المصلي عن الخشوع في صلاته، وقد ذكر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشيطان خنزب بالاسم، ثم أمر عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأن يتعوذ بالله منه، أي من خنزب، فتكون الاستعاذة بالله في هذا الموضع مقيدة على الشيطان خنزب، وبذلك تكون صيغة الاستعاذة منه بقولنا: أعوذ بالله من الشيطان خنزب. والله أعلم.



(١) (الزمر:٦٧).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾

بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، فلا يوجد شيء في الأرض ولا في السماء له القدرة على أن يضر مع اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

روى أحمد في مسنده عن أبان بن عثمان، عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»[(١)].

والزيادة التي وردت في لفظ أبي داود تشرح لنا هذا الحديث الشريف، فقد روى أبو داود في سننه عن أبان بن عثمان يقول: سمعت عثمان - يعني ابن عفان - يقول: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ» وقال: فأصاب أبانَ بن عثمان الفالجُ، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له: «ما لك تنظر إليَّ! فوالله ما كذبتُ على عثمان ولا كذب عثمان على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني غضبتُ فنسيتُ أن أقولها[(٢)].

---

(١) أحمد: (١/ ٢٣٤) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) أبو داود: (٥٠٨٨)، الترمذي: (٣٦٨٥)، ابن ماجه: (٣٨٦٩) وهو حديث حسن.



وهذا كرم من الكريم، ورحمة من أرحم الراحمين - سبحانه - فبرحمته بين لنا أن يكون كل شيء باسمه، لأنه لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، بل هو شرف لنا أن نُسَمِّيَ كل أمر نبدأ به باسمه - سبحانه - فبالتسمية يتحقق لنا شرف عبادته عندما نقول: (بسم الله) نقولها تعبدًا له وحده لا شريك له، ونقولها دعاءً لله أن يبارك لنا فيما سمينا عليه باسمه.

ولقد رأينا رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبركة كل أسمائه الحسنى التي يتضمنها الاسم الأعظم (الله) في (بسم الله) تتجلى عندما ركب نوح السفينة هو ومن معه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾[1] فلقد جرت السفينة الجريان المبارك وحفظها الله بين أمواج كالجبال باسمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا﴾ حيث نجّاهم الله وأغرق كل من على وجه الأرض، ولم يذر على الأرض من الكافرين ديّارًا، فلم يكن هناك عاصم من أمر الله إلا من رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من الذين يعرفون معنى (بسم الله) وفي نهاية الأمر قيل: ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ وذلك تهيئة لكي ترسو السفينة، ويرسو معها كل من فيها باسم الله وبحفظ الله.

وقد كان هناك ضرر حقيقي واضح للجميع، ومع ذلك فقد انصاع الموج الذي هو كالجبال فلم يضرهم؛ لأن السفينة تجري باسم الله، وانصاعت الأرض لأمر الله فبلعت الماء، وانصاعت السماء فأقلعت عن المطر، لأن السفينة سوف ترسو باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا

(١) (هود:٤١).



تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

وتدبرنا لهذه الآية، كما أمرنا الله أن نتدبر، يدلنا على أن الإنسان لا ينبغي أن يشرع في أمر من الأمور إلا ويكون في وقت الشروع فيه ذاكرًا اسم الله تعالى حتى تكون بركة ذلك الذكر سببًا لتمام ذلك المقصود.

وقراءة القرآن من أعظم الأمور التي نذكر اسم الله فيها حتى نحصل ببركة اسم الله على ما في القرآن من منافع، ومن هذه المنافع أن يعيننا الله على فهم القرآن وتدبره، وعلى الشفاء بالقرآن، ونحصل على الهداية التي في القرآن، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾[2] وفوائد أخرى كثيرة لا تعد ولا تحصى، لأن الله وصف هذا القرآن بأنه قرآن كريم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾[3] فكل من طلب من هذا القرآن شيئًا أعطاه.

وعندما نبدأ قراءتنا باسم الله فإننا ندعو الله أن يفتح علينا مما في هذا القرآن من الهدى، وينفعنا به، ويجعله ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء حزننا وذهاب همنا، ولذلك فإن أول آية نزلت في القرآن كانت أمرًا من الله للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن يقرأ باسم ربه، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾[4] وربنا سبحانه لا يأمر إلا بالخير. نسأله - سبحانه - الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا وما لم نعلم.

---

(١) (هود:٤٢-٤٤).

(٢) (البقرة:٢).

(٣) (الواقعة:٧٧).

(٤) (العلق:١).



﴿ٱللَّهِ﴾

عندما نذكر (الله) فإننا نعني خالقنا وخالق الكون وخالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[(١)] فمشركو قريش يعلمون أن (الله) هو اسم لخالق السموات والأرض، والكل يعرف أن اسم (الله) يراد به هذا المسمى، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾[(٢)] ولا يوجد أحد ادَّعى هذا الاسم له، وإنما هو عَلَم على ذات الله سبحانه الذي لا إله إلا هو، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[(٣)].

فكل مخلوق في السموات، من ملائكة وأفلاك ونجوم وكواكب، وكل ما في الأرض، من جبال وأشجار ورمال وبحار، وكل ما على الأرض من مخلوقات، نراها أو لا نراها، الكل يعرف الله ويسبح لله لكننا لا نفقه تسبيحهم، لذلك عندما نقول (الله) فإننا نعني به رب العالمين أجمعين، قال تعالى : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾[(٤)].

والكافر يعرف أنه لا يوجد إله آخر يدعي أنه خلق هذا الوجود، ولا يوجد إله ينافس الله سبحانه في التفرد بهذا الوجود، وإلا لعَلَا بعضهم على بعض، قال

---

(١) (الرعد: ١٦).

(٢) (العنكبوت: ٦١).

(٣) (الحشر: ٢٢-٢٤).

(٤) (الفاتحة: ٢).



تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[١].

فالكافر عندما يصاب بمصيبة لا يلجأ لأحد إلا لله، بل إنه قد يخلص لله إخلاصًا أشد من إخلاص بعض المسلمين، ويستجيب الله له بهذا الإخلاص، والشواهد كثيرة على ذلك، وما من أحد على وجه الأرض إلا وقد مرّ بلحظات عرّفه ربُه بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويكون هذا التعريف بالله هو أعلى درجات المعرفة في تلك اللحظات، ليأتي معها أعلى درجات الإخلاص، فمنهم من يستمر على معرفته بالله وإخلاصه لله، ومنهم من يجحد، قال تعالى ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾[٢] فالكل في الكروب يعرفون الله ولا يلجأون إلا لله وحده، يدعونه مخلصين له الدين.

واسم «الله» جَلَّجَلَالُهُ هو الجامع المتضمن لكل الأسماء الحسنى، ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه، فيقال: الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٣] فعندما نذكر «الله» فإننا نذكر اسم الله المتضمن جميع أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

وعندما يأتي نص دعاء في القرآن أو في السنة، فيجب أن نتدبر ذكر اسم الله الذي ذُكر في هذا الدعاء، فبعضها يكون باسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ وبعضها باسم (الرب)

---

(١) (المؤمنون:٩١).

(٢) (لقمان:٣٢).

(٣) (الأعراف:١٨٠).



سبحانه، وبعضها باسم (الرحمن الرحيم) وقد يأتي الدعاء بذكر صفة من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مثل: (أعوذ برضاك من سخطك) ولذلك يجب علينا عندما ندعو الله أن نلتزم بنفس النص حتى نحصل على بركة الدعاء؛ لأننا لا نحصي ثناءً على الله، فهو سبحانه كما أثنى على نفسه، فلنلتزم بما أخبرنا الله من الثناء على نفسه بهذه الأدعية، ومن هذه الأدعية: (بسم الله الرحمن الرحيم) الذي ذكر فيها أسماءه الحسنى: (الله، الرحمن، الرحيم).

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

إنّ من رحمة الرحمن الرحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن بين لنا كيف نذكره قبل القيام بأي عمل، ذكرًا يبارك لنا فيه، فنقول: بسم الله.

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الرحمن الرحيم الذي ينشر علينا رحمته عندما نقول: بسم الله. ونبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ علم ذلك من ربه عندما قال لقومه: اركبوا فيها بسم الله، حيث قال بعد ذلك: إن ربي لغفور رحيم، كما أخبرنا الله عنه في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾[١].

فمن رحمته - سبحانه - أن علّم أنبياءه الأدعية النافعة، وطبق الأنبياء هذه الأدعية في وقتها ومكانها ومناسبتها، تعبدًا لله وسؤالًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورأينا هذا التطبيق وثماره في مواقف كثيرة قصّها علينا ربنا الرحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن كي نقتدي برسله ونتبع سبيلهم لنحصل على ثمرة الدعاء الذي يريده الله منا من غير زيادة ولا نقصان. لأنه هو أعلم بما يحبه ويرضاه لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) (هود:٤١).



﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾

دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه، وهي أن الرحمة صفته، فكل رحمة نراها في الكون والتي تشمل الإنسان والحيوان هي من الرحمن. ورحمة (الرحمن) - سبحانه - هي رحمة عامة منه لكل المخلوقات، ولكل الناس، المؤمن منهم وغير المؤمن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ٥٩﴾[(١)] ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[(٢)] والعرش أعلى وأوسع مخلوق، وكل مخلوق غيره فهو تحته وأصغر منه، وربنا سبحانه العلي، لا أحد فوقه، وهو الكبير المتعالي.

وقد اختار سبحانه في هذه الآية من كل أسمائه الحسنى اسم الرحمن، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فكل ما تحت هذا العرش ومعهم العرش داخل في رحمة الله، رحمة عامة شاملة لكل المخلوقات، فلم يقل: الجبار على العرش استوى، ولم يقل: القهار أو القاهر على العرش استوى، بل اختار - سبحانه - اسم (الرحمن) طمأنةً للقلوب عن هيبة المتعالي وهيبة الكبير وهيبة الجبار سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وإشعارًا بأن رحمته سبقت غضبه، وليبين أن الكل في الحياة الدنيا تشمله رحمة الرحمن سبحانه.

فبرحمته يغفر للناس ولا يؤاخذهم بكل ما كسبوا، ولكن يؤاخذهم ببعض ما كسبوا ليرجعوا إليه؛ لأنه هو ﴿ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾[(٣)] ولو يؤاخذهم بكل ما كسبوا لعجّل لهم العذاب، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ

(١) (الفرقان: ٥٩).
(٢) (طه:٥).
(٣) (الكهف:٥٨).



لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾ ﴾[2].

وقد وسعت رحمته كل شيء، قال تعالى ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[3] فلا يوجد مخلوق من مخلوقات الله إلا وقد وسعته رحمة الله، وهذه الرحمة التي وسعت كل مخلوقاته؛ المؤمن والكافر والحيوان والجماد، قد كتبها الله كلها للمتقين، الذين من صفاتهم أنهم يؤتون الزكاة فلا يبخلون بما أعطاهم الله، والذين يؤمنون بآيات الله.

والإيمان بآيات الله يتضمن الإيمان به سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ والإيمان به يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته التي منها اسم (الرحمن). والإنسان لن يطلب الرحمة إلا ممن اتصف بصفة الرحمن، وهذا الإنسان لن يطلب الرحمة من الله إلا إذا آمن بأنه أرحم الراحمين؛ لأن غير المؤمن إذا جهل الرحمن فإنه لن يطلب الرحمة منه، وقد يطلبها ممن ليس أهلاً لكمال الرحمة، وهو كل من سوى الله.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾

اسم من أسماء الله الحسنى دالٌّ على تعلقها بالمرحوم، ويدل على أن الله يرحم خلقه برحمته، وهي رحمة خاصة بالمؤمنين المتقين في الدنيا وفي الآخرة،

(١) (الكهف:٥٨).
(٢) (فاطر: ٤٥).
(٣) (الأعراف: ١٥٦).

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[١] فصلاة اللهِ وملائكتِه على المؤمنين سبب في إخراجهم من الظلمات إلى النور، وذلك رحمة من الرحيم خاصة بالمؤمنين، ومن أراد أن تشمله رحمة الرحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فليكثر من الصلاة على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليصلي عليه الله بكل صلاة عشر صلوات ويخرجه من الظلمات إلى النور، فيمشي بنور الله ورحمته في كل أمور حياته، ومن يمشي بنور الله ورحمته فلن يتيه ولن يضل أبدًا، وسوف يكفيه الله همَّه ويغفر له ذنبه.

روى الترمذي عن أُبَيٍّ بن كعب قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ» قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ»[٢].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله ابن القيم في «جلاء الأفهام»[٣] عن تفسير هذا الحديث فقال: كان لأُبيّ بن كعب دعاءٌ يدعو به لنفسه، قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل يجعل له منه ربعَه صلاةً عليه، فقال: (إنْ زِدْتَ فهو خيرٌ لك) فقال: النصفَ؟ فقال: (إن زدتَ فهو خير لك) إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلَّها، أي: أجعلُ دعائي كلَّه صلاةً عليك، قال: (إذًا تُكفَى همَّك، ويُغفَرَ لك ذنبُك) لأن مَن صلَّى على النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرًا، ومن صلَّى الله

(١) (الأحزاب: ٤٣).

(٢) الترمذي: (٢٦٢٥)، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. أحمد: (٢١٢٤١). وحسنه الألباني.

(٣) «جلاء الأفهام» ص ٧٩.



عليه كفاه همَّه وغفر له ذنبه. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا حرمنا الله وإياكم صلاة الله علينا ورحمته بنا.

وبرحمة الله ينال المؤمن أعظم فوز في الآخرة، وهو الفوز بالجنة، إذ لا أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله، فهي لازمة في الآخرة لدخول الجنة.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»[1].

ولا ينال هذه الرحمة إلا المؤمنون، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[3] ورحمة الله هنا هي الجنة. والآيات في ذلك كثيرة.

و بما أن هذه الرحمة هي أغلى ما يتمناه كل إنسان في الآخرة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فينالها المؤمن ويفوز بالجنة وبرؤية الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فإن المؤمن أيضًا ينال رحمة ربه في الدنيا، هذه الدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فكما أن الله برحمته أعطاه جنة عرضها السماوات والأرض، فإنه أيضًا يرحمه في الدنيا رحمة واسعة تجعله غير محتاج لأحد إلا لله.

---

(١) البخاري: (٦٤٦٣)، مسلم: (٧١١١)، أحمد: (١٠٦٧٧).

(٢) (الجاثية:٣٠).

(٣) (آل عمران ١٠٧).



وقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾[1] دال على استمرارية رحمته سبحانه للمؤمنين في الدنيا والآخرة. فالإله الذي له هذه الأسماء الحسنى، والصفات العليا، هو الإله المستحق للحمد المطلق كله. فالحمد لله رب العالمين.

❊❊❊

(١) (الأحزاب: ٤٣).



﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

إذا قال العبد : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال الله تعالى : (حمدني عبدي) وإذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (حمدني عبدي) فهذا يعني أن العبد قد حقق الحمد الذي يرضاه منه سبحانه، وشهد له سبحانه بذلك فقال: (حَمَدَنِي عَبْدِي).

وربنا حق، ولا يقول إلا الحق، فهنيئًا لمن شهد له الله بأنه حقق الحمد الذي يرضاه عنه، والحمد لله على هذه الشهادة؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يحمد الله الحمد الكامل إلا الله سبحانه، فنحن لا نستطيع أن نحصي نعم الله علينا، ولا نستطيع أن نحمده الحمد الكامل على نعمه كلها، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٨﴾[1].

لكن الله الغفور الرحيم بنا دلَّنا على الصيغة المناسبة لحمده، عندما أمرنا أن نقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الصيغة التي يستطيع قولها كل من يستطيع الكلام، يستوي في ذلك المتعلم وغير المتعلم، الكبير والصغير، فالحمد لله سبحانه على ذلك كله، ولو حاولنا أن نجد صيغة نحمد الله بها فلن نجد أفضل من هذه الصيغة العامة المختصرة التي علمنا إياها ربنا سبحانه ورضيها مِنَّا.

وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»[2] فالحمد لله على رضاه عنا، ولكي نحصل على الرضا

---

(١) (النحل:١٨).

(٢) مسلم: (٦٩٣٢)، أحمد: (١٢١٦٨).



الكامل من الله وعلى البركة الكاملة لهذا الحمد، لابد أن نتدبر معنى هذا الحمد، ونستحضره عندما نقوله.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تعني:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أنه سبحانه محمود لذاته، فالحمد المطلق كله كائن ﴿لِلَّهِ﴾.

قال القرطبي: الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أَوْلَى من الإحسان، وعلى هذا الحد قال علماؤنا: الحمد أعم من الشكر[١]. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أم لم يكن. والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والمثل العلا وما خلقه في الآخرة والأولى[٢]. اهـ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

تُقرأ برفع (الحمدُ) على أنها جملة اسمية، وهذا هو المشهور في قراءتها، وقراءة الرفع أولى من قراءة (الحمدَ) بالنصب، على أنها جملة فعلية.

جاء في (الكشاف): والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾[٣] رفع

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٣٤).

(٢) الفتاوى الكبرى ٢/ ٣٧٨ - ٣٧٩).

(٣) [الذاريات: ٢٥].



السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حَيَّاهُمْ بتحيةٍ أحسن من تحيتهم، لأن الرفع دالٌّ على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه[1]. انتهى كلامه.

وجاء في (البحر المحيط): وقراءة الرفع أمكن في المعنى، ولهذا أجمع عليها السبعةُ؛ لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى، فيكون قد أخبر بأن الحمدَ مستقرٌّ لله تعالى. ومَنْ نصب فلا بد من عامل تقديره: أحمد الله، أو حمدت الله، فيتخصَّصُ الحمدُ بتخصيصِ فاعلِهِ، وأشعَرَ بالتجدد والحدوث[2]. اهـ.

فالجملة الاسمية أقوى وأثبت من الفعلية؛ لأن الجملة الفعلية مرتبطة بالفاعل وبزمن الفعل، أما الجملة الاسمية فتدل على أن الله محمود في القدم وفي الأزل، قبل حمد الحامدين وبعد حمدهم، وهي دالةٌ على ثبوت الحمد والاستقرار لله دائمًا وأبدًا.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

إن الحمد الذي يرضاه منا ربنا سبحانه نراه مقترنًا بلفظ الجلالة: (الله) المتضمن لكل أسمائه الحسنى، وبهذا نكون حمدنا الله سبحانه على جميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا، لأننا لو قلنا: (الحمد للحي) لاقتصر الحمد على حياته، ولو قلنا (الحمد للسميع العليم) فكأننا حمدناه على سمعه وعلمه، لا على قدرته ورحمته ومغفرته وكرمه ورزقه، لكن عندما نقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فإننا نقول: الحمد لله الحي، والحمد لله القيوم، والحمد لله الرحمن الرحيم القوي العزيز اللطيف الخبير العليم الملك القدوس السلام، وكل أسمائه التي نحصيها، بل حتى أسمائه التي استأثر بها في علم الغيب عنده التي يتضمنها كلها اسمه (الله).

---

(١) الكشاف (١/ ٩).

(٢) البحر المحيط (١/ ٣٤).



فنحن نحمده على اسمه القوي الذي بقوته نتقوى، ونحمده على اسمه الرحيم الذي برحمته يرحمنا سبحانه، ونحمده على اسمه الكريم الذي بكرمه أكرمنا، ونحمده على اسمه الرزاق على ما هيأ لنا من رزق، منذ أن كنا في بطون أمهاتنا لا نقوى على شيء حتى الممات، ونحمده على اسمه العليم الذي يَعلم ما ينفعنا فيدلنا إليه، ويَعلم ما يضرنا فيبعدنا عنه، علّم الإنسان ما لم يعلم، ونحمده على اسمه الشافي الذي يشفينا إذا اشتكينا من أي مرض، وهكذا في كل أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي نعلمها والتي لا نعلمها.

فهو سبحانه من رحمته بنا دلنا على صيغة الحمد التي نحمده بها على كل أسمائه في قولنا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ والآية التي بعدها هي قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فمن بين أسمائه جعلنا نقرأ هذين الاسمين في هذه الآية، والتي تبين لنا أن الله الرحمن الرحيم دلنا برحمته على كيفية حمده وكيفية ثنائه وكيفية تمجيده، فالحمد لله رب العالمين.

وكما أن الألف واللام في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ تفيدان الاستغراق والاستحقاق، فكذلك لفظ الجلالة يفيد الاستحقاق والاستغراق، فهو سبحانه (الله) المحمود لذاته، والذي له الحمد المطلق على كل أسمائه، فتبين بهذا أن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هي الصيغة المستغرقة للحمد كله.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أهي خبر أم إنشاء؟

ذهب بعضهم إلى أنها خبرٌ يدل على الإخبار بأن الحمد ثابت ومستحق لله.

وقال بعضهم إنها إنشاء يفيد المدح والتعظيم لله.



و ذهب الألوسي في تفسيره (روح المعاني) إلى أنها خبرٌ يتضمن إنشاءً، حيث يقول: إن الحمد إخبار عن محاسن الغير مع المحبة والإجلال، والمدح إخبار عن المحاسن، ولذا كان الحمد إخبارًا يتضمن إنشاء، والمدح خبرًا محضًا"[1]. انتهى كلامه.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

أول كلمة افتتح البشر فيها كلامهم من بين كل المفردات اللغوية هي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقد قالها أبونا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما نفخ الله فيه الروح وعطس.

روى الترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، عَطَسَ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ. فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ...» الحديث»[2].

وهي آخر دعوى المؤمنين يوم يدخلون الجنة، قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾[3] فكلنا نحيا بين هذين القولين، ولذلك وجب علينا أن نحيا بهما في كل لحظة مستحضرين هذا الحمد المستحق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونسعى لرضاه، حتى يرضى عنا سبحانه ويقول: (حمدني عبدي).

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

عندما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بين سبحانه أن (الله) هو ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ورب العالمين هو رب كل شيء، من أصغر ذرة لا تُرى إلى أعظم

(١) روح المعاني (١/ ٧٣).
(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٨) وقال: حديث حسن. وصححه الألباني.
(٣) (يونس: ١٠).



مخلوق وهو العرش العظيم.

والتعرّف على الله أو أي اسم من أسمائه الحسنى يكون إما بالتعريف الكامل لهذا الاسم من الأسماء الحسنى، أو بالتعرف عليه بأثر ذلك الاسم.

أما التعريف الكامل التام فلا يحيط به إلا الله، ولا يمكن أن يحيط به أي مخلوق، حتى الأنبياء، فلا يتأتى تعريف أي اسم من أسماء الله الحسنى تعريفًا كاملًا إلا بتعريف هذا الاسم باسم آخر من أسماء الله الحسنى.

فربنا سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

فمن هو الله؟

الله هو ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ومن هو رب العالمين؟

رب العالمين هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وهو ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وهكذا في كل أسمائه الحسنى؛ لأن كل اسم من أسمائه متضمن لكل أسماء الله الحسنى.

وفي أواخر سورة الحشر عرّف الله نفسه بأسمائه الحسنى في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[1] فسبحان من له هذه الأسماء الحسنى والصفات العلا! سبحانه عما يشركون!

---

(١) (الحشر: ٢٢-٢٤).



أما التعريف بالله بأثر أفعاله فنراه جليًّا في آيات الله الكونية التي دائمًا ما يذكرها الله في القرآن ويحثنا على تدبرها، ونرى ذلك في سورة الشعراء حيث يتضح لنا التعريف بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وذلك بذكر أثر أفعاله كما عرّفه الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - لقومهم، ومن هذا التعريف نتعلّم كيف نطبق الإيمان بهذا الاسم من أسماء الله الحسنى، وكيف نعبد الله بهذا الاسم كما طبقه الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد جاء التعريف برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سياق الحوار الذي دار بين الرسل وقومهم في سورة الشعراء، وأول حوار ذكره الله في هذه السورة حوار موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع فرعون، الذي فيه يبيّن الله لنا الإجابة على الأسئلة التي قد يطرحها كل جاحد بالله رب العالمين.

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[1] وعندما سأل فرعون عن المقصود برب العالمين، كما ذكر لنا الله في القرآن: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2] أجابه موسى كما بين القرآن: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

يقول ابن كثير: أي: خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي

(١) (الشعراء:١٦).
(٢) (الشعراء:٢٣).
(٣) (الشعراء:٢٤).

عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة[1]. انتهى كلامه.

هذا هو التعريف الأول برب العالمين في هذا الحوار. فربنا - سبحانه - لم يجعل التعرف عليه صعبًا، فهو رب السماوات والأرض وما بينهما، رب هذا الكون العظيم الواسع أمامنا، ومع عظم ما نراه أمامنا من هذا الكون الواسع إلا أننا لا نرى منه ولا نعرف عنه إلا القليل، فرَبُّ هذا الكون العظيم وخالقه ومصلحه هو أيضًا ربنا وخالقنا ومصلح جميع شؤوننا ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كما قال موسى لفرعون فيما أخبرنا به الله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2] والذي يوقن بعظمة واتساع هذا الكون من السماوات والأرض وما بينهما لا بد أن يستحضر عظمة رب وخالق السماوات والأرض وما بينهما، فالموقن يعرف عظم المؤثر بعظم الأثر.

ولأن فرعون لم يكن من الموقنين فقد استغرب من هذا التعريف لرب العالمين، وكأنه كان يريد التعريف الكامل لماهية رب العالمين الذي لن يستطيع أحد من المخلوقين استيعابه أو الإحاطة به، ونسي أو تناسى عظم أثر الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في خلقه السماوات والأرض وما بينهما.

وقد نظر فرعون إلى من حوله وتمتم بطريقة الاستخفاف كما أخبر تعالى في قوله: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾[3] فرد عليه موسى الرد المقنع كما أخبرنا - سبحانه - في قوله: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾[4].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٨).

(٢) (الشعراء:٢٤).

(٣) (الشعراء:٢٥).

(٤) (الشعراء:٢٦).



وهذا هو التعريف الثاني برب العالمين، بذكر أفعاله، فقد ذكّرهم بأنفسهم وببداية خلقهم هم وآبائهم الأولين، فإن كانوا قد تجاهلوا خلق السموات والأرض وما بينهما فلينظروا إلى خلق أنفسهم في جميع حركاتهم وسكناتهم، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾[1].

فبعد أن ذكر أنه رب السموات والأرض وما بينهما، خصّهم وخص آباءهم بالذكر، وهذا منتهى العدل والحجة، فموسى لم يطلب منهم مطلبًا صعبًا، وإنما طلب منهم أن يرجعوا للفطرة، فلا يعبدوا إلا من أوجدهم وأوجد آباءهم الأولين، الإله الذي رباهم وأصلح لهم جميع أمورهم، بدءًا بأنفسهم وما تحتويه من أعضاء وخلايا وسوائل وعناصر، رتبها خالقها وأصلحها في أحسن تقويم، ونظم أكلها وشربها وتنفسها ونموها ونومها واستيقاظها، وانتهاءً بما حولهم من هذا الكون الواسع من السموات والأرض وما بينهما، الذي يسير مسخَّرًا لهم بشكل دقيق لا يحيد عن مساره.

ولا يمكن أن يكون فرعون هو ربهم لأنه لم يخلقهم، فبعض الحاضرين لهذا الحوار جاء إلى هذه الدنيا قبل أن يولد فرعون، فكيف يكون الرب جاء بعد المخلوق! لذلك ذكَّرهم موسى بأن رب العالمين هو ربهم ورب آبائهم الأولين، ورب العالمين هو الذي خلق فرعون ومَن قبله من الفراعنة الذين ادَّعَوا أنهم آلهة كما يدعي فرعون الآن، ومع ادعائهم بأنهم آلهة إلا أنهم رحلوا وماتوا ولم ينفعوا أنفسهم لينفعوا غيرهم.

بعد هذا التعريف الثاني انقطع ما عند فرعون من الحجة، وتبيّن أنه لا يود أن يسأل موسى أكثر من ذلك حتى لا تُفتّح عقول من حوله وأبصارهم على أشياء

(١) (الذاريات:٢١).



كانوا عنها غافلين، فلم يجد فرعون جوابًا يعتقد أنه مقنعٌ ليردَّ به على ما قاله موسى إلا أن يتهمه بالجنون.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] يريد بذلك ألا يلتفتوا إلى ما يقوله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. فحاول تشويه المعلومات وتشويه سمعة صاحب تلك المعلومات، ومع هذا التشويه فقد أضاف إليهم صفة موسى باعتباره رسولًا في قوله: ﴿رَسُولَكُمُ﴾ وأكدها في قوله: ﴿أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ حتى يشعروا بنفس التشويه الذي سوف يُلصَقُ بهم لو اعترفوا به وبرسالته إليهم، ولكن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تنبّه لذلك.

فجاء بالتعريف الثالث لرب العالمين، مخاطبًا العقول، ليقول لهم كما أخبرنا القرآن : ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2] فخاطب موسى العقول – عندما قال : إن كنتم تعقلون – وقال: إن (رب العالمين) هو رب المشرق والمغرب وما بينهما من البلاد، مما تشرق عليه الشمس وتغرب، وهو المسيطر عليها والمتحكم بها، وليس فقط رب هذه الطائفة أو القبيلة أو رب هذه الأرض التي أنتم بها، فرب الجميع هو ربٌّ واحد، وهو رب العالمين، وإذا كان فرعون هو رب هذه البلاد التي أنتم بها، فمن يكون رب تلك البلاد البعيدة التي تعرفونها وتعرفون أن فرعون ليس له سيطرة عليها مثل دولة الرومان والبابليين؟

هذا هو التعريف بـ (الرب) سبحانه، كما بينه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون، بأن الرب هو رب العالمين، ورب السموات والأرض وما بينهما، ورب الناس ورب آبائهم، وهو سبحانه رب المشرق والمغرب وما بينهما، رب كل شيء والمتصرف

(١) (الشعراء:٢٧).
(٢) (الشعراء:٢٨).



بكل شيء سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

هو الرب الذي لجأ إليه السحرة عندما هددهم فرعون بالقتل، وقالوا: ﴿لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾[1] فثبتهم الله وجعل القتل بالنسبة لهم أهون من أي شيء في هذه الدنيا، فقتلهم فرعون الواحد تلو الآخر، ينظر بعضهم مقتل البعض الآخر ولا يرجعون عن هذا الإيمان الذي رسخه الله في قلوبهم.

وهو الرب الذي لجأ إليه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عندما خاف أصحاب موسى يوم أن لحق بهم فرعون وقالوا: إنا لمدركون ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١﴾[2] فذكّرهم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالرب سبحانه، وأنه معه وسيهديه وينقذه من فرعون وجنوده، فقال لهم: (كَلَّا) نافيًا أن يدركهم فرعون، كما أخبرنا القرآن: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢﴾[3] وهذا حال كل من يعرف رب العالمين سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ويؤمن به إيمانًا كاملًا، سوف يكون مطمئنًا في كل حالاته.

و نجد أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في آخر الخبر عن فرعون وقومه يخبر رسوله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾[4] يخبره عن نفسه سبحانه باسم الرب، وقد أضاف ضمير المخاطب الذي يعود للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى لفظ الرب سبحانه إضافة تشريف للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وتذكيرًا له بأنه سبحانه معه، مخبرًا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بأنه سبحانه هو العزيز الذي غلب من ادعى العزة عندما قال السحرة: ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ﴾[5] وأغرق فرعون وجنوده. ويخبره أن

---

(١) (الشعراء:٥٠).

(٢) (الشعراء:٦١).

(٣) (الشعراء:٦٢).

(٤) (الشعراء:٦٨).

(٥) (الشعراء:٤٤).

ربه سبحانه هو الرحيم، عندما رحم موسى ومن معه فأنجاهم أجمعين، فعزة الرب سبحانه على الكافرين رحمة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾[١].

هكذا عرّف الله عن نفسه في سورة الشعراء في كل قصة من قصص الأنبياء بأنه هو الرب الحقيقي، فقد عرّف عن الرب بأثر أفعاله في الآيات التي نراها من حولنا، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٢] وعرّف عن الرب التعريف الكامل بأسمائه الحسنى، حيث اختتم سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كل قصة من قصص الأنبياء في سورة الشعراء بهذا التعريف، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾[٣] مسميًا نفسه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالرب ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فما أسعدنا برب عزيز رحيم.

وفي حوار إبراهيم مع قومه، استغرب إبراهيم كيف أنهم يعبدون إلهًا ليس بربٍ للعالمين، كما بين لنا ربنا في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[٤] فهم يعبدون من لا يسمعونهم إذا دعَوهم ولا ينفعونهم ولا يضرونهم.

---

(١) (الشعراء:٦٥-٦٨).

(٢) (الشعراء:٦٧).

(٣) (الشعراء:٦٨).

(٤) (الشعراء:٦٩-٨٠).



واستغرابه هذا جاء بعد أن استخدم عقله، وتدبر وقارن بين ما يعبدون من أصنام هذا شأنها وبين رب العالمين، فأخبرهم بقراره، ومن ثَمَّ بين لهم سبب اتخاذه لهذا القرار، فذكر لهم أن رب العالمين هو الذي يخلق ويهدي، والرب سبحانه هو الذي يطعم ويسقي، وإذا فرطنا في زيادة الأكل والشرب فمرِضنا فهو سبحانه الذي يشفي.

وقد نسب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المرض إلى نفسه، ونسب الشفاء لرب العالمين، تأدبًا منه مع ربه الذي لا يأتي منه إلا الخير، أما الشر فيأتي عندما نترك الخير فيحل محله الشر، مثل النور عندما يختفي، فإننا نسمي حالة اختفائه ظلامًا، وكذلك الخير، فحالة اختفاء الخير يعتبر شرًّا. وقد ذكر إبراهيم هذه الحالة ليبين أن الإنسان هو الذي يجلب الشر لنفسه بابتعاده عن طريق الخير، ومع ذلك فإن رب العالمين هو الذي يحميه من ضرر هذه الشرور كلما أصابها وأصابته.

ويكمل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التعريف بالرب، فيبين لهم أن الرب هو الذي يميت ثم يحيي يوم القيامة، ولأن الإنسان غير معصوم من الخطأ، فربنا سبحانه هو الذي يغفر لنا خطايانا يوم الدين، يوم أن نلقاه وذلك برحمة الرب الرحيم. كل ذلك من بركة اسم الله (الرب) ذكرها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمن لا يعرف رب العالمين.

فالحمد لله لأن ربنا وإلهنا هو ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لا رب سواه سبحانه، المسيطر على هذا الكون المُسَخَّرُ لنا بأمره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وإيماننا برب العالمين يحقق معنى توحيد الربوبية بعد تحقيقنا لتوحيد الألوهية في قولنا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾.

يقول القرطبي في تفسيره معنى (الرب): فربنا جل ثناؤه هو السيد الذي لا شِبْهَ له، ولا مِثْلَ في سُؤْدُده، والـمُصلِح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والـمالك الذي له الـخلق والأمر. انتهى كلامه بتصرف.

ويقول ابن الأثير في كتابه النهاية: يطلق «الربّ» في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: ربّ كذا، وقد جاء في الشعر مطلقًا على غير الله، وليس بالكثير[١]. انتهى كلامه.

فالحمد لله على اسمه (الرب) الذي به نحصل منه سبحانه على التربية والإصلاح، فهو يرعانا حالًا فحالًا إلى حد التمام، ويصلح أمورنا كلها ويتولانا سبحانه مهيئًا لنا كل ما يلزم لبقائنا على قيد الحياة، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[٢] فهو سبحانه أكمل لكل شيء خلقه ثم هداه هداية الفطرة السليمة، فصار هذا الكون من أصغر شيء فيه إلى أعظم شيء يمشي بهذه الهداية بدقة متناهية، وذلك بتدبير رب العالمين الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

فربنا المُصلح لأمر خلقه قد خلق في أجسامنا العناصر الكيميائية والأملاح والهرمونات والغدد وكريات الدم والصفائح وأعضاء الجسم، مثل القلب والرئتين والكبد والكليتين والمخ، وكل خلية في الجسم، ثم هدى هذه الأشياء كلها في كل إنسان للطريق الصحيح الذي يخدم هذا الإنسان، وقِسْ على ذلك كل شيء خلقه الله، من أشجار وحيوانات وبحار وسحب، وكل ما في الأرض،

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٧٩).
(٢) (طه:٤٩-٥٠).



وكذلك الكواكب والنجوم وكل المجرات التي لا نستطيع أن نحصيها، خلقها سبحانه ثم هدى ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾.

فالذي ينير لنا الطريق ويهدينا الصراط المستقيم هو ربنا سبحانه، عندما نؤمن به ونؤمن بأنه هو الذي يربينا ويصلحنا، ولا نطلب الهداية إلا منه، قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾[1] فالإيمان بالرب سبحانه ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ كان سببًا لزيادة الهدى وتثبيته في قلوب المؤمنين، ومن أصبح على هدىً من ربه فقد أفلح، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[2] فالهدى جاء من الله باسم الرب سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾.

و لو تدبرنا تلك الآيات التي ذكرناها لوجدنا أن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ جاء ذكره باسم (الرب) في العطاء والهداية ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ والإيمان بالرب سبب لزيادة الهدى ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾.

لذلك عندما نقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فيجب علينا أن نستحضر في قلوبنا الحمد المطلق لذات الله سبحانه على كل اسم من أسمائه، مؤمنين بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ونستحضر ما سخر لنا ربنا رب العالمين مما نراه في هذا الكون من النعم، بدءًا في أجسامنا وما حولنا، وكل شيء علمناه أو لم نعلمه، من قريب أو بعيد، في هذا الكون العظيم.

و ذلك حتى يقول عنا الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: (حمدني عبدي).

---

(١) (الكهف:١٣).
(٢) (البقرة:٥).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾

إذا قال العبد: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: (أثنى عليّ عبدي) وإذا قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ (أثنى عليّ عبدي) فهذا يعني أن العبد قد حقق الثناء الذي يرضاه منه سبحانه، وشهد له سبحانه بذلك فقال: (أثنى علي عبدي).

وربنا سبحانه حق ولا يقول إلا الحق، فهنيئًا لمن شهد له سبحانه بأنه حقق الثناء الذي يرضاه عنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عندما يقول: (أثنى عليّ عبدي).

فنحمده سبحانه على هذه الشهادة، لأنه لا أحد يستطيع أن يثني على الله الثناء الكامل إلا الله سبحانه، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[(١)].

ولكنه سبحانه الرحمن الرحيم بنا علَّمنا الصيغة المناسبة للثناء عليه، عندما أخبرنا أن نقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ والتي يستطيع قولها كل من يستطيع الكلام، فيستوي بذلك المتعلم وغير المتعلم، الكبير والصغير، فالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم على ما علمنا إياه من صيغة الحمد وصيغة الثناء الذي يرضاه الله عنا سبحانه، ولو حاولنا أن نجد صيغة نثني بها على الله فلن نجد أفضل من هذه الصيغة .

---

(١) مسلم: (١٠٩٠).



وربنا سبحانه رضي منا هذا الحمد وهذا الثناء وشهد لنا به حين قال سبحانه: (حمدني عبدي) وقال: (أثنى علي عبدي) لأن صيغة هذا الحمد وهذا الثناء جاءت من عند الله، فلا أحد يعلم كيفية حمد الله ولا كيفية الثناء على الله إلا الله سبحانه، إذْ كيف نحمد الله ونثني عليه والعقل عاجز أن يدرك قدرته أو يحصى نعمه أو يحيط برحمته! وصورة عجز المخلوق على هذا جاءت في قول أشرف الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما قال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم على أن علمنا ما يرضاه منا من حمد وثناءٍ حمدًا وثناءً يليقان بجلاله.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

عندما قال الله: الحمد لله، أخبرنا بأن الله هو ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ورب العالمين هو رب السموات والأرض ومن فيهن، مما يعني أنه لا إله غيره لأنه هو رب كل شيء، فحَمَدْنا الله على أن من نعبده يستحق العبادة، فلا نعبد إلهًا غيره في هذا العالم.

ومع أن الرب هو رب العالمين المسيطر على كل شيء، إلا أنه هو أيضًا الرحمن الرحيم، وإيماننا الكامل بأنه هو الرحمن الرحيم يبعث فينا الطمأنينة ونحن نستحضر رحمات من وسعت رحمته كل شيء التي تتجلى على هذا الكون كله، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] فقد أخبرنا عن استوائه على العرش باسمه الرحمن، رحمة بكل الخلائق، من أكبر مخلوق، وهو العرش، إلى كل ما تحت العرش من الخلق، ليطمئننا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فنحن نحمده على أنه هو ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وعلى أنه هو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

(١) (طه:٥).



وإيمانا بأن الله هو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وشعورنا بالطمأنينة، وحمدنا له على ذلك، إنما هو ثناء عليه سبحانه المستحق لكامل الثناء، فكأن الثناء عليه بهذَين الاسمين من الأسماء الحسنى يتأتى بعد حمدنا له على كونه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بقولنا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾.

وإذا أردنا أن نستشعر رحمة الرحمن فلنتأمل كيف قرّب لنا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ معنى رحمة الله بعبادة، مقارنة بأقوى رحمة يستطيع الإنسان أن يراها بين الخلق وأنفسهم، وذلك فيما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب أنه قال: قدم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي، إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قلنا: لا، والله وهي تقدر على ألا تطرحه. فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[1]

الله أكبر على هذه النعمة العظيمة التي قد تغيب عن كثير من الناس، فكلما رأينا مشاعر رحمة أمٍّ بولدها، أو استشعرنا نحن مشاعر الرحمة تجاه أبنائنا أو آبائنا، فإننا نفرح بوجود هذه الرحمة فينا، ونفرح أكثر كلما ازدادت تلك المشاعر عندنا، لأننا نعلم علم اليقين أن الله أرحم بنا من الأم بولدها، فتكون هذه الرحمة التي نراها بين الخلق لا شيء مقارنة برحمة الرحمن الرحيم.

ورحمة الأم مهما بلغت فإنها مقيدة؛ لأنها إذا نامت الأم انقطعت هذه الرحمة حتى تستيقظ، أما ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإن رحمته لا تنقطع، لأنه لا تأخذه سنة

(١) البخاري: (٥٩٩٩)، مسلم: (٦٩٧٨) واللفظ لمسلم.



ولا نوم. وقد تنقطع رحمة الأم انقطاع تام بموتها، أما ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فرحمته دائمة لأنه حيٌّ لا يموت. والأم مع أنها ترحم ابنها لكنها قد لا تقدر على تحقيق ما يحتاجه؛ لأن قدرتها محدودة، أما الله فإنه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مع القدرة لأنه هو القادر. والأم لا تعلم ما ينفع، أما الله فإنه يرحم بعلم؛ لأنه هو العليم، يعلم ما ينفع الإنسان ويعطيه رحمة به، ويعلم ما يضره فيمنع عنه الشيء رحمة به. والأم ترحم ابنها المريض وتبكي رحمة عليه، لكنها لا تستطيع أن تشفيه، أما الله فإنه يرحم ويشفي؛ لأنه هو الشافي، ورحمته تكون بحكمة لأنه الحكيم، فقد يعجل الشفاء وقد يؤخره لحكمة يراها رحمة بالمريض. والأم رحمتها مقيدة بما تملكه، ورحمة الله ليست مقيدة بشيء؛ لأنه هو رب العالمين، الملك والمالك لكل شيء والمسيطر عليه، ورحمته وسعت كل شيء. فـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾.

وأغلب الناس لا يشعر ولا يفكّر بتلك الرحمات إلا عندما يتذكّر حاجته إليها، وينسى أنه في الحقيقة يحتاجها، بل ويعيشها في كل لحظة من لحظاته، فمثلًا قلب الإنسان ينبض في الدقيقة ما يقارب الثمانين مرة، فيزيدها الله وينقصها حسب حاجة الجسم، وذلك مدة حياة الإنسان، سواء كان نائمًا أو مستيقظًا، وهذه رحمة من الله بخلقه كلهم، المؤمن وغير المؤمن، الإنسان والحيوان.

وقِسْ على ذلك التنفس والهضم، وكل وظائف الجسم الداخلية والخارجية التي تعمل بكل دقة برحمة ممن خلقها في أحسن تقويم، رحمة بكل الخلق مسلمهم وكافرهم، والسعيد هو من يستشعر هذه الرحمات ويطلبها ويطلب دوامها من الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، ولا ينساها ولا يطلبها من مخلوق هو نفسه بحاجة لرحمة الرحمن.

وأكثر من يعرف رحمة الرحمن هم الأنبياء، ولذلك نرى أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاف من فقدان هذه الرحمة طرفة عين، لذلك فهو يطلبها من الله كل يوم صباحا ومساءً.

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَاءِ الْمُضْطَرِّ: **«اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»**[(١)].

فما أحوجنا إلى أن نستشعر معاني رحمة الرحمن الرحيم في كل وقت، والتي لا نستطيع أن نحيا بدونها في الدنيا ولو طرفة عين، ولن ندخل الجنة في الآخرة بدونها. وما أحوجنا إلى أن نستشعر حمدنا لله رب العالمين على هذه الرحمة من الرحمن الرحيم حتى يقول عنا ربنا: **(أثنى علي عبدي)**.



---

(١) أبو داود بسند حسن: (٥٠٩٠).



﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾

إذا قال العبد: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال الله تعالى: (مجّدني عبدي) وقال مرة: (فوض إليّ عبدي) وإذا قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: (مجدني عبدي، وفوّض إليّ عبدي) فهذا يعني أن العبد قد حقق التمجيد والتفويض الذي يرضاه منه الله وشهد له بذلك فقال: (مجدني عبدي).

وربنا حق، ولا يقول إلا الحق، فهنيئًا لمن شهد له الله أنه حقق التمجيد الذي يرضاه منه، عندما يقول: (مجدني عبدي، وفوّض إلى عبدي) والحمد لله على هذه الشهادة، لأنه لا أحد يستطيع أن يمجد الله التمجيد الكامل إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ. والحمد لله الذي بيّن لنا الصيغة المناسبة لحمده والثناء عليه وتمجيده، عندما أخبرنا أن نقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾.

وكما أخبرنا ربنا - سبحانه - بأن نحمده لأنه ليس له شريك في الملك في الدنيا ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١ ﴾[1] فقد أخبرنا أيضًا بأن نحمده على أنه هو مالك يوم الدين في الآخرة، وليس أحدًا غيره، واعتبر إيماننا بكونه مالك يوم الدين وحمدنا له على ذلك إنما هو تمجيدٌ له وتفويض الأمر إليه.

وهذه شهادة من الملك سبحانه لهذا العبد المؤمن الذي رد الأمر كله لله سبحانه، فأظهر الإيمان بالله (الملك) وأظهر الإيمان باليوم الآخر ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾

(١) (الإسراء:١١١).



الذي يتضمن الإيمان بالقرآن الذي يقرأه، والإيمان بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بلّغ هذا القرآن الكريم، والإيمان بجبريل الذي أوصل هذا القرآن إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإيمان بالقدر خيره وشره؛ لأنه فوض الأمر كله لله، فإن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له في الدنيا وفي يوم الدين، أو أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيرًا له في الدنيا وفي يوم الدين، فوصل العبد بذلك إلى تطبيق أركان الإيمان كلها بآية واحدة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ولكي نمجد الله ونفوض الأمر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا بد أن نستحضر عظمة ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من استحضارنا لعظمة ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وإيماننا بذلك في كل حركة من حركاتنا وسكناتنا كلما قرأنا هذه الآية، حتى يقول عنا ربنا: (مجدني عبدي) أو (فوض إليّ عبدي).

فرب العالمين، ومالك كل شيء، والمسيطر على كل هذا الكون، الذي يسير بقوانين وسننٍ تتجلى فيها رحمة الرحمن في كل حركة من حركات موجوداته، بحيث لا نرى أي خلل في تلك القوانين والسنن، قد كلف الإنسان واستخلفه في الأرض، وأخبره أن كل حركاته محسوبة، وسوف تُجزى كل نفس بما كسبت، وذلك في يوم الحساب، وهو يوم الدين، يوم يزول كل مُلْكِ مَلِكٍ، ولا يبقى إلا مُلْك مالك يوم الدين، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾[1].

---

(١) (غافر:١٦-١٧).



ففي هذا اليوم بالذات لا يوجد أي نوع من أنواع الظلم، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد حرم الظلم على نفسه، والظلم بين الخلق وأنفسهم قد اختفى، لأنه ليس لأي مخلوق في ذلك اليوم أدنى نوع من أنواع الملك لكي يظلم، والكل وهم بارزون لم يبقَ منهم أحد يعلمون أن الملك اليوم لله الواحد القهار، فالكل سمع السؤال ولم يتجرأ أحدٌ أن يجيب أو يقول غير ذلك، حتى إن أيسر أنواع الملك وهو امتلاك القدرة على الكلام نراه قد سُلب من الجميع، فالمؤمنون لا يستطيعون الكلام إلا بإذن الله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1] والمجرمون قد ختم الله على أفواههم، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[2].

وقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المؤمنين المصدقين بيوم الدين أنه هو مالك يوم الدين، بعد أن ذكر أنه هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وذلك رحمة بهم وطمأنة لهم بإرجاع حقوقهم لهم ولإدخالهم الجنة، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾[3].

وخاطب المجرمين المكذبين بيوم الدين بأن المُلك في يوم الدين لله باسم ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ قهرًا وإذلالًا لهم وانتقامًا منهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[4].

ونتيجة التكذيب والتصديق بيوم الدين يتحملها كل فريق، فالمجرمون الذين

---

(١) (البقرة:٢٥٥).
(٢) (يس: ٦٥).
(٣) (الفاتحة:٢-٣).
(٤) (غافر:١٦).



يكذبون بيوم الدين قد أخبرنا ربنا عنهم بأنه لا يكذب بهذا اليوم إلا كلّ معتدٍ أثيم، ومن اعتدائهم الأثيم أنهم يرون أن كل آية تُتلى عليهم إنما هي تخلُّف وبقيّة من قصص الأولين، وهذا رأيهم دائما بكلّ آية تأتيهم، أو بكل تطبيق لآيات القرآن على أرض الواقع.

وبسبب هذا الاعتداء وما كسبوه من الظلم والتكذيب لبس قلوبَهُم الرَّيْنُ فحجب عنها الإيمان ورؤية الحق، وهذا الحجب في الدنيا تسبب بحجبهم عن رؤية الله في الآخرة، وتسبب بدخولهم النار وتوبيخهم بتذكيرهم بما كانوا به يُكذّبون، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾[١].

فهذه هي نهايتهم، والحسرة تبدو في جوابهم أمام أسئلة المصدِّقين بيوم الدين الذين هم ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾[٢].

فالمكذب بيوم الدين هذه هي صفاته في الحياة الدنيا، وقد اعترف بها تحسرًا، وكان لا يرى أحدًا يخوض بظلم إلا خاض معه، إما بالعمل أو بالتأييد، وذلك لأنه معتدٍ أثيم؛ معتدٍ بعدم التصديق بالبعث ويوم القيامة الذي هو يوم الدين، ومن ثم عدم إيمانه بأنه سيحاسب على كل عمل يعمله، وهذا الاعتداء جعله

---

(١) (المطففين: ١٠-١٧).

(٢) (المدثر: ٣٨-٤٧).



أيضًا معتديًا أثيمًا جريئًا في الخوض في كل ما يغضب الله من الأعمال المحرمة، حتى أتاه اليقين، وهو الموت، وهو على هذه الحال.

فإذا رأيت أي معتدٍ أثيم منغمسًا في المعاصي فاعلم أنه مكذب بيوم الدين، مكذب بيوم القيامة والحساب، وهو يعمل لدنياه ولنفسه فقط محاولًا الأخذ مما يستطيعه باعتداءٍ أثيم، ويكون مقياسه في كل عمل يعمله هو مدى الكسب الذي سوف يكسبه لنفسه في هذا العمل في هذه الحياة الدنيا، غير آبهٍ بالآخرين، ومِن ثَمَّ غير ملتفت لأي كسب في اليوم الآخر؛ لأنه لا يؤمن به، أو عنده شك فيه.

ومن الاعتداء الأثيم بعد شكه في قيام الساعة ظنه أنه لو كان هناك بعثٌ فإن منزلته يوم القيامة ستكون مثل منزلته في الحياة الدنيا، كما أخبر الله عن الظالم لنفسه في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾[١].

أما المؤمنون المصدقون بيوم الدين، المصدقون بأن الله هو المالك لهذا اليوم، والذي سيحاسِب كل نفس بما كسبت، فإن الله يبعث الطمأنينة في قلوبهم؛ لأنهم فوضوا أمرهم إلى الله الذي لا يضيع لهم عنده حق، فيأخذ لهم حقهم ممن ظلمهم، في يوم يتمنى فيه الإنسان أن جميع حقوقه من الناس ادخرت له في هذا اليوم، وحقهم على الله أن يدخلهم الجنة برحمته.

وقد أخبرنا الله عن صفات هؤلاء المصدقين بيوم الدين في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ

(١) (الكهف: ٣٥-٣٦).



وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

هذه صفات المصدقين بيوم الدين الذين هم من عذاب ربهم مشفقون، فنرى صفاتهم ليس فيها اعتداء على الله ولا على خلق الله، وميزانهم لأعمالهم هو حرصهم على ما سوف يكسبونه في يوم القيامة من أجرٍ يبعدهم عن عذاب الله ويدخلهم الجنة، وقد أخبرنا ربنا عن ثمرة هذا التصديق؛ ففي الدنيا نفى الله عنهم الهلع، وهو الجزع عند الفقر، والمنع والبخل الشديد في الغنى، وفي الآخرة في جنات مكرمون.

ولهذا فالذي يقرأ سورة الفاتحة عن يقين وتدبر لقوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ فإنه يدخل فيمن يقول عنه الله سبحانه: **(مجدني عبدي)** وهذه شهادة من الملك سبحانه لهذا العبد المؤمن الذي رد الأمر كله لله سبحانه، وقد نفى الله عنه بأن يكون معتديًا أثيمًا.

فـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾.

❊❊❊

(١) (المعارج: ١٩-٣٥).



﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾

إذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله : **(هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل)**. فالذي لله هو توحيد الله في كل العبادات، في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وتوحيد الله في كل توسل وكل طلب للعون في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والذي للعبد هو نتيجة هذا التوحيد، أولها تشرّف العبد بعبادة الله، وثانيها معرفة العبد أن له معينًا قد تكفّل له بكل أمور الدنيا، وطمأنته بأنه سوف يحققها له عندما يقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد وعد بذلك في الحديث القدسي في قوله: «**ولعبدي ما سأل**» فهنيئا لمن قال له الله: **(ولعبدي ما سأل)**. لأن الله حق وقوله حق.

ولذلك يجب أن نستحضر العون والسؤال الذي نطلبه من الله، عونًا في العبادات والمعاملات حتى يحقق لنا الله كل ما نطلبه، وأول عون نطلبه هو العون على تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فنسأله العون على عبادته العبادة الصحيحة، وأن يجعل كل حركاتنا وسكناتنا عبادة لله، حتى تكون كل معاملاتنا عبادة. ونسأله العون على ألا نستعين إلا به، ولا نتوسل إلا إليه، من غير شرك أو بدعة. والعون على الاستمرار والثبات على ذلك في كل العبادات. وكذلك نسأله أن يعيننا على كل أمر من أمور الدنيا، من رزق وذرية صالحة وتوفيق لكلّ أمر، وشفاء من كلّ مرض، وكشف لكلّ سوء، فنستحضر هذا الأمر عندما نقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾

من عدل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنه لم يجعل لنا مجالًا للاجتهاد في معرفة سبب وجودنا في هذه الحياة الدنيا، فالسبب هو عبادته وحده لا شريك له، وقد بيّن لنا ذلك بشكل واضح وصريح، وألغى أي سبب آخر قد يفكر فيه من ضلّ عن السبيل، وأهم سبب قد يفكر فيه هؤلاء هو الأكل والشرب، فبين الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنه قد تكفّل بالرزق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[(١)].

وبين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لنا الطريق الصحيح لعبادته، بل وتكفل بأن يعيننا ويهدينا لذلك، فبدون العون والهدى من الله لا أحد يستطيع أن يؤدي العبادة التي يرضاها الله منه، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾[(٢)] وطلب منا أن نسأله ذلك عندما نقرأ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[(٣)].

والذي يقرأ الفاتحة بتدبر ويقين يكون قد حمد الله رب العالمين، خالق كل شي والمسيطر عليه، وأثنى على الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كلّ العالمين، فكلّ شيء فينا إنما يسير برحمة الرحمن الرحيم. والذي يقرأ سورة الفاتحة يكون مجّد مالك يوم الدين، وفوّض إليه كلّ أموره، الملك الذي سوف يحاسب كل نفس بما كسبت.

---

(١) (الذاريات:٥٦-٥٨).

(٢) (الأنعام: ١٦١).

(٣) (الفاتحة:٥-٧).



وبهذا الحمد والثناء والتمجيد والتفويض يكون العبد المؤمن قد هيّأ نفسه لعبادة الله، فيُشهد الله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين أن كل حركاته وسكناته، حتى نومه، عبادة خالصة لله وحده لا شريك له، فصلاته وصيامه وحجه وزكاته عبادة، وعمله عبادة، وأكله وشربه عبادة، واستيقاظه ونومه عبادة، ومشيه وجلوسه عبادة، وبيعه وشراؤه عبادة، وزياراته عبادة، ورحلاته عبادة، وكل عمل يقوم به إنما يقوم به تعبدًا لله. فإذا ابتسم ابتسم تعبدًا لله، وإذا تكلّم تكلّم لله، وإذا سكت سكت لله، وإذا قضى حاجة أهله وأبنائه فهو يحتسبها صدقة لله، حتى عمله الذي يأخذ عليه أجرًا فإنه يحتسبه ويخلص فيه لله، وهكذا العبد يكون في كل أموره محتسبًا عمله لله، مطبقًا قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وقد أمر الله نبيه محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتبليغ ذلك ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1] فكل أموره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمر اللهُ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أمره أن يعلن ويقول بأنه أول المسلمين الذين يطبقون إسلامهم في كلِّ أحوالهم، حتى وصل لأن يكون خُلُقه القرآن، وشهد الله له بذلك ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[2].

وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قدم ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل ليدل على الحصر، وهو حصر العبادة لله وحده. وتقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل ﴿نَعْبُدُ﴾ يجعل من غير الممكن أن يُعطف مع ﴿إِيَّاكَ﴾ أحدٌ، وبهذا تكون هذه الصيغة هي أفضل صيغة للإقرار بتوحيد الله بالعبادة، لتكون عباداتنا كلها خالصة له وحده، ولا نشرك معه أحدًا في أي عمل.

---

(١) (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).
(٢) (القلم: ٤).

والإقرار بالعبادة لله في كل عمل يعمله العبد جاء بضمير المخاطب العائد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكأن العبد يرى الله أمامه في كل حركاته وسكناته متعبّدًا الله بها وهو يخاطبه، في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وليس بصيغة الغائب، وذلك حتى يصل العبد لأعلى المراتب، وهي مرتبة الإحسان، فيُكتب من المحسنين، والذي عرّفه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة عندما جاء يعلمهم أمر دينهم في قوله في الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم: «قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(١)].

وإذا وصل العبد لمرتبة المحسنين، فليبشر ببشارة الله له ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾[(٢)] ومن نتائج هذه البشارة محبة الله له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[(٣)] والذرية الصالحة والهداية له ولهم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾[(٤)] وليبشر بالهداية إلى الطريق المستقيم في كل أموره، في العبادات وفي المعاملات، ومعيّة مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ومن كان الله معه في كل حال فإنه لن يضيع ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[(٥)] وليبشر بالحكمة والعلم النافع ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[(٦)].

---

(١) البخاري: (٥٠)، (٤٧٧٧)، مسلم: (٩٧)، أحمد: (٩٥٠١)، وهذا لفظ البخاري.
(٢) (الحج:٣٧).
(٣) (البقرة:١٩٥).
(٤) (الأنعام:٨٤).
(٥) (العنكبوت: ٦٩).
(٦) (يوسف:٢٢).



والمحسنون أهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عندما يصلون إلى درجة الإحسان فإن إحسانهم لا يخفى على الناس، أيًّا كان هؤلاء الناس، مؤمنين أو كفارًا، فترى الناس يطلبون النصح منهم لمعرفتهم بإحسانهم، وكأنهم يعلمون أن المحسن قد آتاه الله حكمة وعلمًا، فقد توسم إخوة يوسف الإحسان في يوسف قبل أن يعرفوه ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾[(١)] وقبل ذلك فعل صاحِبَا السجن مع يوسف حيث توسموا فيه الإحسان، ومن إحسانه توسموا أيضًا فيه العلم بتأويل الأحاديث ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾[(٢)].

ومن ثمار الإحسان أن رحمة الله قريبٌ من المحسنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[(٣)] ومن كانت رحمة الله قريبة منه فقد أفلح.

ومن رحمته بالمحسنين تهيئة أسباب تمكينهم في الأرض، وذلك لأن الله وعد أنه لا يضيع أجر أي محسن ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[(٤)] فقد أصاب الله برحمته يوسف ومكّنه في الأرض، فأصبح هو عزيزَ مصر، وخيرٌ من أجرِ الدنيا أجرُ الآخرة ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾[(٥)].

---

(١) (يوسف:٧٨).

(٢) (يوسف:٣٦).

(٣) (الأعراف:٥٦).

(٤) (يوسف:٥٦).

(٥) (يوسف: ٥٧).

ومن رحمته أيضًا بالمحسنين أنه يعينهم على الثبات والصدق عند البلاء، كما حدث لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في البلاء الذي سماه الله بالبلاء المبين، أي الامتحان الحقيقي الواضح.

قال تعالى يمدح المحسن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾(١) فقد صدّق ابراهيمُ ربّه بتصديقه للرؤيا وتطبيقه لأمر الله، فأعانه الله على تخطي البلاء بصدق وثبات، وذلك جزاءً من الله لإحسانه ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾(٢).

وكان من نتائج هذا التصديق والثبات أن فدى الله إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بذبح عظيم، وبلّغ إبراهيم السلام في قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾(٣) وكرر الله قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾(٤) مرتين لإبراهيم، لكثرة إحسانه عَلَيْهِ السَّلَامُ. وبشره الله بمولود آخر جزاءً لإحسانه، فبعد أن كان ينتظر فَقْدَ ابنه، فدى الله ابنه وبشره بمولود آخر ليس كأي مولود، وإنما كان نبيًّا من الصالحين. كذلك يجزي الله المحسنين، أي أن هذه هي سنة الله في جزائه للمحسنين على الدوام، فمن يصل لمرتبة المحسنين فليبشر بجزاء كجزاء المحسنين.

هذا جزاء المحسنين في الدنيا.

---

(١) (الصافات: ١٠٤ – ١١٢).

(٢) (الصافات: ١٠٥).

(٣) (الصافات: ١٠٩).

(٤) (الصافات: ١١٠).



أما في الآخرة، فلهم حسن ثواب الآخرة، قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾(١) فحسن ثواب الآخرة هي الجنة، قال تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٢).

وأعظم من هذا الجزاء وعد الله للمحسنين بالزيادة، قال تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾(٣) فكل عطاء يعطيهم الله إياه في الدنيا أو في الآخرة سوف يكون فوقه زيادة، حتى يصلوا إلى عطاء من الله ليس فوقه زيادة بذاته، وإنما زيادة بتكرار هذا العطاء، وزيادة بأثر العطاء على المُعطَى، وهذا العطاء هو أوسع عطاء وأغلى عطاء وأجمل وأكرم وألذ عطاء، وهو النظر إلى رب العالمين.

ولأن الجزاء من جنس العمل، فإن هذه الزيادة تُعدّ أعظم جزاء لمن كان يطبق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في كل أموره، فيعبد الله ويتقيه في الدنيا كأنه يرى الله في كل حركاته وسكناته، فيكون جزاؤه في الجنة الزيادة العظمى، وهي رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرؤية الحقيقية، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾(٤) وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(٥).

وعَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ:

---

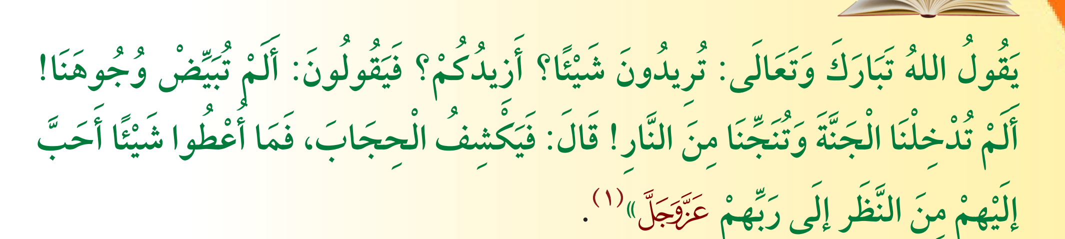
(١) (آل عمران: ١٤٨).

(٢) (المائدة:٨٥).

(٣) (البقرة:٥٨).

(٤) (يونس: ٢٦).

(٥) (القيامة: ٢٢-٢٣).



يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا؟ أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ! قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ»(١).

بعكس من كان في الدنيا يرتكب المعاصي غير مُبَالٍ برؤية الله له، ولم يستحضر عظمة الله ولم يَخَفْهُ بالغيب، وكان يكذّب بيوم الدين، فإنه محجوب عن رؤية الله، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(٢).

فمن يطمح لرؤية رب العالمين الرؤية الحقيقية في الجنة فليطبق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ التطبيق الحقيقي في كل حركاته وسكناته، حتى يصل إلى درجة الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. نسأله سبحانه أن يعيننا على ذلك.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

لا بد أن نعلم أنه ليس لنا أي قدرة على فعل الطاعات وترك المعاصي، وبالتالي الاستمرار في هذه الحياة فيما يرضي الله، إلا بعون من الله، ومن دون هذا العون فإن النفس بغرائزها المختلفة تسيطر على جميع تصرفات الإنسان فيما يُسمى بـ(الهوى) وقد تطغى إحدى الغرائز على بعض فتكون عنوانًا لهذا الإنسان، ولذلك فإن ربنا المصلح لأحوالنا، الرحمن الرحيم بنا، قد بيّن لنا كيف

---

(١) مسلم: (٤٤٩).

(٢) (المطففين: ١٠-١٧).



نستعين به الاستعانة التي يرضاها منا ليقول: **(ولعبدي ما سأل)** وذلك في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

وجاء تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ على ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ ليفيد الحصر، فلا نستعين بأحد إلا به وحده لا شريك له، وكذلك جاء طلب العون بصيغة المخاطب الذي يعود إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ والعبد واقف بين يديه، مستحضرًا عظمة الله رب العالمين ورحمته، الرحمن الرحيم، فلا يكون هناك وسيط بين العبد وربه.

ولذلك كانت وصية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لمن يحبه ويقسم على أنه يحبه أن يسأل الله العون على ذكر الله وشكره وحسن عبادته.

عن معاذ بن جبل أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده وقال: «**يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**» فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[١].

وقد عرف الأنبياء ذلك فسألوا الله العون على كل عبادة، وأهم عبادة هي الصلاة، قال تعالى مخبرًا عن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾[٢] وقال تعالى مخبرًا عن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾[٣].

وعندما يخاطب العبد ربه ويسأله العون في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فلا بد أن يستحضر ذلك العون الذي يريده من الله حتى يتحقق ما سأله، ويقول له الله:

---

(١) أبو داود: (١٥٢٢)، النسائي: (١٣٠٤)، أحمد: (٢٢١١٩) وإسناده صحيح، وصححه الألباني.
(٢) (إبراهيم: ٤٠).
(٣) (الأعراف:١٢٨).

(ولعبدي ما سأل). وهذا لا يتحقق لمن يقرأ الفاتحة من غير تدبر، ويختمها بقوله: آمين، وهو لا يعي ما يقرأ، فالبعض قد لا يعي أنه حمد الله وأثنى عليه ومجّد الله وسأله، وبهذا يحرم نفسه من خير كثير؛ لأنه يحرم نفسه من عون الله في كل شيء، فتسيطر عليه غرائزه وأهواؤه ويكون إلهُه هواه، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[1].

وللعبد عندما يقرأ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن يستحضر في قلبه عونًا عامًّا من الله في كل أموره من دون تخصيص، ليعينه الله في كل عمل يعمله من العبادات والمعاملات، أو يستحضر في قلبه عونًا خاصًّا، كالعون على كثرة السجود، والعون على ذكر الله وشكره وحسن عبادته، أو عون على صلاح الذرية، أو عون على الزيادة في العلم، أو عون على الرزق، أو العون على كشف السوء وإزالة ظلمٍ حلّ به، أو العون على الشفاء من مرض طرأ له، وهكذا، حتى يستفيد مِن استجابة الله لطلبه عندما يقول الله: (ولعبدي ما سأل) ويتحقق ما سأله العبد. فربنا حق ولا يقول إلا الحق.

وإذا قال: (ولعبدي ما سأل) فإن للعبد ما سأل من دون أدنى شك، وذلك بالطريقة التي يرى الله أنها هي الأصلح له، فلا يستعجل، ولذلك جاء الحث على الاستعانة بالصبر والصلاة معًا، الصبر بأنواعه الثلاثة: صبر على الاستمرار في الطاعات، وصبر على الابتعاد عن المعاصي، وصبر على البلاء.

وأفضل تحقيق لهذا العون في ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يكون عندما نقرأ الفاتحة في الصلاة؛ لأن الله جعل الصلاة وسيلة للاستعانة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. الصلاة التي نقرأ بها الفاتحة في كل ركعة، ولا تتم إلا بها.

(١) (الفرقان: ٤٣).



وقد أوصانا الله بالاستعانة بالصبر والصلاة في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦﴾[١] وقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾[٢] فهذا أمر من الله للمؤمنين بأن يستعينوا بالصبر والصلاة، وقد جاء هذا الأمر بعد أن أمر الله عباده أن يذكروه ليذكُرَهم وأن يشكروه ولا يكفروه.

والذكر نوعان:

* الأول: ذكرٌ لله بعمل الطاعات، والتي منها الصلاة، وترديد الأذكار الواردة من القرآن والسنة، وتدبر معانيها، بالصلاة وخارج الصلاة، وكذا في كل عبادة.

* والثاني: ذِكْرٌ لله في قلب العبد قبل كل حركة وعمل يعمله، بحيث يتذكر العبدُ ربّه ويسأل نفسه؛ هل هذا العمل يرضي الله أم لا؟ وهل هذا الحديث يرضي الله أم لا؟ فيجعل الخوف من الله وتقوى الله أمامه دائمًا، وبهذا يكون تذكُّرُهُ للهِ حاضرًا في كل حركاته وسكناته، ويكون تذكُّرُه لله أكبر وأكثر من كل تذكُّر يتذكَّر فيه أحدًا.

وإذا تذكرنا الله بهذه الطريقة فإن الله سوف يذكرنا، وذِكر الله لنا يعني حفظه ورحمته لنا، وهو أكبر من تذكر المخلوقين بعضهم بعضًا، وهو سبحانه يعلم ما نصنع إن كان مما يرضيه أم لا، ويعلم إن كنا قد تذكرناه قبل أي عمل أم لا،

---

(١) (البقرة: ٤٥-٤٦).

(٢) (البقرة: ١٥٢-١٥٣).

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[١].

هكذا تكون الاستعانة الحقيقية بالصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، عندما نتدبر ما نقوله في الصلاة، ونحن نذكره بالحمد والثناء والتمجيد والتوحيد، ونسأله العون على كل شيء، وأول عون نطلبه هو العون على عمل الطاعات واجتناب المعاصي، لنفوز ونسعد في الدنيا والآخرة في كل مرة يقول لنا ربنا فيها: **(ولعبدي ما سأل)**. ومن لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليتّهم خشوعه وتركيزه في الصلاة، فالصلاة أمرها كبير، كما قال ربنا: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[٢] ومن كانت الصلاة كبيرة عليه فليعلم أنه ما فاز بقول الله: **(ولعبدي ما سأل)**.



(١) (العنكبوت: ٤٥).
(٢) (البقرة:٤٥).



﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾

إن أقصر طريق بين أيّ نقطة بداية والهدف المنشود هو الخط المستقيم، فإذا خرج الإنسان عن مسار هذا الخط المستقيم فإن المسافة تطول ليصل متأخرًا، أو قد ينحرف بشكل لا يصل فيه للهدف السامي البتة، فتكون نهايته الضياع والخسارة.

ومن رحمة الله بنا أن أخبرنا أن هناك طريقًا مستقيمًا، وأمرنا أن نطلب العون منه وندعوه أن يهدينا هذا الطريق المستقيم لنصل للهدف الذي يريده منا الله بأفضل وأسرع وسيلة. ومن فضله وكرمه الواسع فقد حدد لنا نوع هذا الطريق المستقيم، وبيّنه لنا بشكل دقيق وعملي وليس تنظيرًا، حتى لا يكون هناك مجال للاجتهاد، فبيّن لنا أن هذا الطريق هو طريق أناسٍ أنعم الله عليهم فسلكوه، قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾(١) وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ۝٧٠﴾(٢).

فهؤلاء قد شهد الله لهم بأن نعمته قد شملتهم، بفضلٍ منه، أي أنهم قد وصلوا للهدف السامي، وهو إنعام الله عليهم في الدنيا باتباعهم الصراط المستقيم، وفي الآخرة حيث يجازيهم بالجنة على هذا الاتباع للصراط المستقيم.

---

(١) (الفاتحة: ٧).

(٢) (النساء: ٦٩-٧٠).



وبيّن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الصراط المستقيم هو الاستمساك بما أوحي للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾[1] وهو الدين المعتدل الذي مشى عليه أبو الأنبياء إبراهيم الحنيف، ولم يكن من المشركين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾[2].

والهداية نوعان:

* هداية دلالة وهداية توفيق، فأما هداية الدلالة فهي ما جاء به الرسل ليبينوا للناس ويدلوهم الطريق الصحيح، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[4] وأصل دعوتهم وبيانهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾[5] فمن اهتم بهذه الدلالة وحرص على معرفة الحق، وتخلص من حكم الهوى – الذي نهى الله عن اتباعه ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[6] – فإن الله بإذنه يهديه هداية التوفيق للصراط المستقيم، فيكون مع الذين أنعم الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾[7].

---

(١) (الزخرف:٤٣).

(٢) (الأنعام:١٦١).

(٣) (المؤمنون:٧٣).

(٤) (الشورى:٥٢).

(٥) (يس:٦١).

(٦) (ص:٢٦).

(٧) (الحج:٥٤).



* وهداية التوفيق لا تكون إلا بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾[1] وتتحقق هذه الهداية بوعد من الله عندما نقرأ بتدبّر في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[2] ليقول لنا الله: **(ولعبدي ما سأل)**. فهنيئًا لمن قال له الله: ولعبدي ما سأل، لأن الله حق وقوله حق.

ولابد أن يستحضر العبد الهداية التي يطلبها من الله، وهي الهداية للطريق المستقيم في كل أحواله، وأول هداية يطلبها هي الهداية لتوحيد الله والابتعاد عن الشرك، وعبادة الله العبادة الصحيحة التي يرضاها عنه الله عبادة بعيدة عن البدع، ومن ثمّ الثبات عليها هداية في كل العبادات والمعاملات حتى يمشي سويًّا على صراط مستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، ولا يحيد عنه.

فتكون كل حركاته وسكناته، أقواله وأفعاله، عبادة لله وحده لا شريك له، منذ أن يستيقظ العبد إلى أن يأوي إلى فراشه، فيسأل الله الهداية العامة في كل أمور الدنيا من غير تخصيص، وبهذه الدعوة تتحقق له الهداية للامتثال لكل ما أمر الله ورسوله، واجتناب كل ما نهى عنه الله ورسوله، وهداية للثبات على ذلك.

وكذلك تتحقق له الهداية للتعامل مع الناس التعامل الذي يرضي الله، بدءًا بالأهل والجار والأصدقاء، القريب والبعيد، المسلم وغير المسلم، وتتحقق له الهداية لأفضل طريق وهو الطريق المستقيم في كل عمل يعمله، فإن كان حاكمًا وفقه الله وهداه لاتخاذ القرارات النافعة والخطط الناجحة، وهداه الله للتعامل المقبول من جميع فئات الناس، فيحبه الجميع، ويطمئن إليه الغريب والقريب.

(١) (البقرة:٢١٣).

(٢) (الفاتحة: ٦-٧).

وإن كان طبيبًا هداه الله إلى التشخيص الصحيح، ومن ثم العلاج المناسب وبارك الله في علاجه.

وكذلك طالب العلم، فإن الله يهديه للعلم النافع، سواء كان علمًا شرعيًّا أو علمًا دنيويًّا، فيمشي بنور الله، ويفتح عليه من العلم ما ينفع به الناس ويجعل فيه القبول. وهكذا في كل عمل؛ المهندس في هندسته، والتاجر في تجارته، والفلاح في زراعته، والصانع في صناعته، والعامل في عمله.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1] فيكون هَدْيُه في ذلك هو هَدْي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يتّبعه الصديقون والشهداء والصالحون، وإذا تحقق ذلك فإن الله سوف يهديه ويوفقه لاتخاذ القرارات المناسبة في كل ما يطرأ له من أمور وحوادث، فيتخطّاها بعون الله وهدايته، وتكون أخلاقه وتصرفاته داخلة في إطار أخلاق وتصرفات الذين أنعم الله عليهم.

وإذا بدر من أحدٍ تصرفٌ مخالفٌ للذين أنعم الله عليهم، فهذا يعني خروجًا وانحرافًا عن مسار الصراط المستقيم، والنزول لدرجة أقلّ من درجة الصالحين، والدخول في مسار المغضوب عليهم أو مسار الضالين، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾[2].

❋❋❋

(١) (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

(٢) (الملك:٢٢).



﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

لقد حدد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نوع الصراط المستقيم بصراط ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ونهى عن اتباع صراط المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق ويجحدونه، والضالين الذين لا يعرفون الحق وتوقفوا عن البحث عنه.

قال تعالى في وصف المغضوب عليهم: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾[1]. هذا وصف لفئة من المغضوب عليهم من مشركي قريش، وقد عرفوا الحق ثم جحدوه، وكفروا به، فحقّ عليهم غضب الله.

وهؤلاء عملوا عمل عبّاد العجل من قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذين عرفوا الحق ثم جحدوه وعبدوا العجل فنالهم غضبٌ من الله وذلة في الحياة الدنيا، وهو مصير كل من يعرف الحق فيجحده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[2].

وقد توعد الله سبحانه وتعالى من اتبعوا صراط المغضوب عليهم فصاروا مشتركين في نفس الجزاء، قال تعالى مخبراً عن المنافقين الذين اتبعوا صراط المغضوب عليهم من اليهود الذين عاصروا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعرفوا الحق فجحدوه: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً

(١) (النحل: ١٠٦).

(٢) (الأعراف: ١٥٢).



فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧)﴾[١].

هذا وصف لكل مغضوب عليه من الله عرف الحق وجحده، أيًّا كان دينه أو مذهبه الذي يدّعيه. ووعيد لكل من اتبع صراط المغضوب عليهم.

وقد حذر الله المؤمنين من أن يتبعوا صراط المغضوب عليهم من اليهود، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)﴾[٢].

ولهذا عندما نقرأ سورة الفاتحة فلابد أن نستحضر الهداية التي نطلبها من الله، بأن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وأن يجنبنا صراط المغضوب عليهم.

أمّا المراد بالضالين فقد بينه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧)﴾[٣] فالضالون هم الذين لا يعرفون طريق الحق، وتوقفوا عن البحث عنه، ولذلك بيّن إبراهيم في حواره لقومه أنه يجب عليهم ألا يتوقفوا عن البحث عن الحق، وأن يسألوا ربهم وخالقهم الهداية، فقد تكفل بهم وبهدايتهم إن هم سألوه ذلك ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧)﴾[٤] فإبراهيم لم يتوقف عن البحث عن الحق، وسأل ربه الهداية، وبيّن لقومه أنه وصل إليه، قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾[٥].

---

(١) (المجادلة: ١٤-١٧).

(٢) (الممتحنة: ١٣).

(٣) (الأنعام:٧٧).

(٤) (الأنعام:٧٧).

(٥) (الأنعام:٧٩).



وقد ضمن الله لكل مؤمن لم يُلْبِس إيمانه بشرك أن يجعله آمنًا مطمئنًّا ويهديه لصراطه المستقيم، ولذلك شهد الله لإبراهيم ولذريته ولإخوانه من الأنبياء أنهم كلهم قد هداهم الله للصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[١].

واعلم أن اتباع طريق هؤلاء الذين أنعم الله عليهم إنما هو عبادة، وقد أمرنا الله أن ندعوه ليهدينا صراطهم مثلما أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتدي بهدايتهم، قال تعالى في تكملة الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[٢] ولأن الله أمرنا فقد تكفل لمن دعاه الدعوة الصادقة أن يبين له طريقهم، فيُبيّن الله له صراط النبيين ببيان سنّة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحيحة الذي استمسك بما أوحي إليه من القرآن، ويجنبه البدع ما ظهر منها وما بطن. وكذلك يجعله يعرف من هم الصديقون ومن هم الشهداء والصالحون المعرفة

---

(١) (الأنعام:٨٢-٨٩).

(٢) (الأنعام:٩٠).

الحقيقية فيتبع طريقهم، وبهذا أيضًا سوف يعرف من هم المغضوب عليهم، ومن هم الضالون، فلا يتبع صراطهم المنحرف عن الصراط المستقيم.

والرفقة التي يجب أن نكون من ضمنها هي رفقة هؤلاء الأربعة؛ النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، رفقة امتدحها الله وقال عنها: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[1] وإذا قال الله عنها ذلك فاعلم أنها أحسن رفقة، ولا يرضى منا سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن نكون أقلّ من درجة الصالحين، إن لم نصل إلى درجة الصديقين، فأي منزلة أعظم من هذه الرفقة! ومن يخرج عن مسار هؤلاء الذين أنعم الله عليهم فقد خرج عن مسار الطريق المستقيم، وصار في مرتبة أقلّ من مرتبة الصالحين.

وعِظَمُ هذه المنزلة تتضح في آثارها، ومن آثارها أن الله أمرنا أن نقتدي بهؤلاء الرفقة لأنها أحسن رفقة، قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ واتباع الصراط المستقيم درجات بحسب درجات الإيمان، أعلاها الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون، ولِعُلُوِّ هذه المنزلة فقد أمرنا الله أن ندعوه ليهدينا صراطهم.

وبهذه الهداية يمشي هؤلاء بنور الله في كل أمورهم، ويصاحبهم التوفيق من الله في كل قراراتهم بإذن الله، ولا عجب أن يكون ذلك لمن هم في أعلى منزلة بعد الأنبياء من اتباع الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾[2].

فالمؤمنون يمشون بنور الله في كل حركة من حركاتهم، قال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ

(١) (النساء: ٦٩).
(٢) (الملك:٢٢).



﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٦﴾[١] فيخرجهم الله من ظلمات كل طريق يسلكونه وينير لهم الطريق الصحيح في كل أمورهم، في العبادات والمعاملات، فيهديهم الله لعبادته العبادة الصحيحة الخالصة، ويهديهم ليتعاملوا مع الناس المعاملة العادلة النافعة لهم وللناس، ليصلوا بذلك إلى كمال العبادات وكمال المعاملات، ويكون لدى هؤلاء فراسة ليست عند غيرهم تُسمى بـ(فراسة المؤمن) وهو نور يقذفه الله في قلب المؤمن، كلٌّ حسب درجة إيمانه، فالمؤمن القوي أقوى فراسة وأتمُّ نورًا وهداية لكلّ ما يدور حوله.

ونستطيع أن نمثّل لدرجات الإيمان، ومن ثَمّ درجات الهداية، بمن يطلب العون من مرشدٍ ليدلّه الطريق إلى مكان ما، فالأقل إيمانًا سوف يصف له المرشد الطريق وصفًا شفويًّا، أما الأكثر منه إيمانًا فسوف يعطيه المرشد خريطة يبين له فيها المكان الذي هو فيه الآن والمكان الذي يريد الذهاب إليه، ويطلب منه اتباع الخريطة، والأكثر منهما إيمانًا سوف يعطيه المرشد الخريطة ويشرح له أفضل الطرق والمنعطفات على الخريطة من البداية وحتى النهاية، أما كامل الإيمان فهذا وضعه مختلف عنهم جميعًا، لأن المرشد سوف يأخذه بيده ويوصله بنفسه، ويختار له أقصر وأسرع وأسهل الطرق حتى يصل للمكان ويُعرِّفه على المكان الجديد ويطمئنه. وكاملو الإيمان هؤلاء هم المحسنون الذين شهد الله أنه معهم، فأكرِمْ بها من معية، معية الله التي يهديهم بها الله لكل طريق يسلكونه على أفضل ما تكون الهداية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾[٢].

---

(١) (المائدة:١٦).

(٢) (العنكبوت:٦٩).

فهذه هي درجات الهداية، فلنخْتَرْ لأنفسنا أن نكون من المحسنين لنكون في معية الله في كل طريق نسلكه، فنأمن الطريق من البداية حتى النهاية، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾[1] إيمان كامل ليس معه أي ظلم، لا ظلم بالشرك، ولا ظلم للنفس في التقصير في اتباع ما أمر الله به والابتعاد عما نهى عنه، ولا ظلم للناس في المعاملات.

فهذا الإيمان الكامل الخالي من الظلم يصاحبه الأمن والهداية الكاملة، ولذلك نرى أن كاملي الإيمان فراستهم تتم بلحظة؛ لأن هدايتهم كاملة، والأقل منهم إيمانًا قد تأخذ منهم بعض الوقت ليتزود بعلامة تعينه، وبعضهم تكون فراسته أطول من ذلك ويحتاج لأكثر من علامة، كلٌّ حسب درجة إيمانه.

ومثل هؤلاء كاملو الإيمان هم الذين نقتدي بهم ونطلب منهم الاستشارة فيما يطرأ من قضايا وأحداث، لأنهم على نور من ربهم الذي يهديهم إلى الطريق الصحيح، وهذا ما فعله الذين لم يَطْعَموا المعاصي من قوم طالوت، حينما طلب منهم إخوانهم العون عندما واجهوا عدوهم جالوت وجنوده، فبينوا لهم أن النصر ليس بالكثرة، وإنما بالإيمان والصبر بإذن الله، ولأن هذه النصيحة جاءت من مؤمنين هداهم الله إلى صراطه المستقيم، وبينوا هذه الهداية بالإيمان الصادق والثبات والصبر والإخلاص لله، فقد ذكر الله نصيحتهم هذه في آيات تتلى إلى يوم القيامة، وجعل قَصصهم من ضمن أحسن القصص الذي اختاره الله لنا، فذكره في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾[2].

---

(١) (الأنعام:٨٢).
(٢) (البقرة:٢٤٩).



بعكس المكذبين الذين نجد أن قراراتهم فيها تخبط وارتباك، لأنه ليس لديهم هداية ونور من الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾[١] هم صُمٌّ لا يستمعون لمن يكلمهم في الحق، فلا يرون إلا رأيهم، ولا يبحثون عن الرأي الحق، وهم بُكْمٌ لا يستطيعون إقناع غيرهم بما يقولون، لأنهم يفقدون الحجة، وهم في ظلمات لا يرون الرؤية الحقيقية لما يدور حولهم، فلا يحسنون تحليل القضايا والحوادث والتصرف على ضوئها.



(١) (الأنعام:٣٩).

ثمار الهداية لصراط الذين أنعم الله عليهم

إن من عدل الله ورحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن دلنا على معرفة الذين أنعم الله عليهم بصفاتهم كي نقتدي بهم ونهتدي بهدايتهم، ونطلب منهم المشورة، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لن يطلب منّا أن ندعوه ونعبده باتباع هدى أناس لا نستطيع التعرّف عليهم، فسمات وثمار الهداية للصراط المستقيم تكون واضحة على من هداه الله وأنعم عليه.

ولقد رأينا كيف عرف صاحبا السجن المشركان أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من المحسنين، ورأينا كيف تركا كلّ من في السجن وجاءا إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يطلبون منه العون، ويعلنان ويشهدان له بكلّ ثقةٍ وبصوت مسموع أنهما يريانه أنه من المحسنين، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾(١).

ولأن يوسف يمشي بنور الله، فقد نبأهم بتأويل ذلك، وتحقق تأويله بأمر الله، وقبل أن ينبئهم فقد دعاهم إلى التوحيد، إلى صراط الله المستقيم، وأن يتركوا ما يعبدون من دون الله. وهذا يعطينا دلالة أن الدعوة لله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يقوي الإيمان لدى المؤمن، وبالتالي يقوي نوره وهدايته، لأن الجزاء من جنس العمل، فمن يهدي الناس هداية دلالة ويدلهم الصراط المستقيم راجيًا بها وجه الله، فإن الله يهديه هداية توفيق، ليكون مع الذين أنعم الله عليهم، قال تعالى مخبرًا عن يوسف قبل أن ينبئهم بتأويل الرؤيا: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ

(١) (يوسف:٣٦).



مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[١].

وكما أن الكافر يعرف ويتوسم المحسنين، كذلك فإن المسلم لا يجد صعوبة في معرفتهم، فقد رأى إخوة يوسف أن يوسف من المحسنين، مع أنهم لم يعرفوه ولم يخالطوه إلا مدة قصيرة، واستخدموا هذه المعرفة لاستعطاف يوسف وتذكيره بأنه من المحسنين كي يرد إليهم أخاه الذي أخذه عنده، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[٢] وقد تحقق ما رأوه من يوسف، فقد أحسن إلى أخيه وأحسن إلى والديه وإخوته بإحسان الله إليهم.

وهذه المعرفة التي يعرفها الناس عن الذين أنعم الله عليهم تجعل من يريد الحق لا غيره، من المسلمين وغير المسلمين، يلجأ إليهم لا إلى غيرهم، ولوضوح هذه المعرفة فإننا رأينا كيف أن الملك كان واثقًا عندما وافق على جعل يوسف على خزائن الأرض، لأنه رأى فيه صفات المحسنين كما رأى ذلك غيره، والنعمة التي أنعمها الله على يوسف من التمكين في الأرض هي من ثمار اتباعه الصراط المستقيم في كل أحواله، حتى صار من المحسنين، فجازاه الله كما يجازي المحسنين، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٣].

---

(١) (يوسف:٣٩-٤٠).

(٢) (يوسف:٧٨).

(٣) (يوسف:٥٦).

وإذا أردنا أن نضرب أمثلة تطبيقية على الهداية لصراط الذين أنعم الله عليهم من الصديقين، فلا أفضل بعد الأنبياء من أبي بكر الصديق، الذي نرى فيه أن الله قد هداه إلى صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فاهتدى بهدي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن ذلك هداية الله له في تصديق خبر الإسراء والمعراج، حينما جاءه مشركو قريش يخبرونه أن محمدًا يقول إنه ذهب إلى بيت المقدس وعُرج به للسماء ورجع في الليلة نفسها، فقال قولته المشهورة: إِنْ كَانَ قَالَهُ فَلَقَدْ صَدَقَ[١]. فلم تكن مشكلته في تصديق ماقاله الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل كانت مشكلته في تصديق من جاءه بالخبر من المشركين؛ هل قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك أم لم يقله؟ فكانت إهانة لهم، بمعنى أنه قد لا يصدقهم في إيصالهم لمعلومة يأتون بها من مسافة قصيرة لا تتعدى بضع أمتار، ويصدق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إيصاله لمعلومة تأتي من مسافة مليارات الكيلوات من الأمتار، من السماء إلى الأرض.

وقد هدى الله أبا بكر لصراط النبيين عندما اعترض الجميع على قرار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرجوع في صلح الحديبية من دون عمرة، فلم يعترض ولم يجزع، وكان ردّه على سؤال عمر له هو نفس ردّ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال أبو بكر لعمر: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالا[٢]. فأبو بكر لم يحزن ولم يتضجر ولم يناقش الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، لأنه وصل إلى اليقين بأن كل ما يحدث له إنما هو خير من الله ولو لم يرَ هذا الخير

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٥٩ - ٣٦٠) وصححه الألباني لشواهده في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٣٠٦).

(٢) البخاري: (٢٧٣١)، (٢٧٣٢)، مسلم: (٤٨٣٤).



الآن، لكنه واثق ومتيقن منه، فهو الصدّيق الذي يصدق كل ما يقوله الله ورسوله، وهذا هو كمال الهدى.

ومن صور الهداية للصراط المستقيم وتصديقه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إصراره على إرسال جيش أسامة بن زيد بعد وفاة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أغلب الصحابة معارضين لذلك، فأصر على إنفاذ جيش أسامة، لأن الذي أمر به هو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يعلم أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمشي على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، وهو بذلك يتبع هذا الصراط كما أمر الله أن يتبعه، فيطبق ما يأمر به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه يرى الخيرَ في أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد كان ذلك، حيث ذهب الجيش ثم رجع سالمًا غانمًا.

وقد قال قولته كما جاء في «البداية والنهاية» لابن كثير: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة، وآمر الحرس يكونون حول المدينة. فكان خروج أسامة في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أُرعبوا منهم وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة! فقاموا أربعين يومًا - ويقال: سبعين يومًا - ثم أتَوا سالمين غانمين، ثم رجعوا، فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة[١]. انتهى كلامه.

ومن هداية الله له للصراط المستقيم أن الله هداه لاتخاذ قرار صعب اعترض عليه جميع الصحابة وأرسلوا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليراجعه في ذلك، عندما قرر أن يحارب المرتدين.

(١) البداية والنهاية (٩/ ٤٢١ - ٤٢٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**»؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ[(١)].

ولعلنا نلاحظ هنا ما قاله عمر بن الخطاب في نهاية الحديث، فلقد عرف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ درجة هداية الصديقين، فأقسم على أن صراط أبي بكر الصديق هو الحق، عندما قال: «فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ» فقد هدى الله أبا بكر الصديق إلى الصراط المستقيم في قرارٍ كان قد عارضه جميع الصحابة عليه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، وعرف عمر ذلك فاتبع صراط الصديق أبي بكر تعبّدًا لله.

فهذه الصور وغيرها من صور الهداية للطريق المستقيم قد انفرد بها الصديق عن غيره من الصحابة؛ لأنه كان دائمًا حريصًا كل الحرص على اتباع صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، حتى ارتقى ووصل إلى منزلة الصديقين الذين أنعم الله عليهم، ممن يَتَّبِع صراطَهم المؤمنون، ويتعبدون الله في اتباع صراط أبي بكر الصديق.

❋❋❋

(١) البخاري: (٦٩٢٥)، (١٣٩٩)، مسلم: (١٢٤).



آمين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[(١)] فَقُولُوا: آمِينَ. فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(٢)].

وإذا أمّنت الملائكة وأمّن المأمومون على دعاء الإمام في سورة الفاتحة، فكأنما دعَوا بنفس الدعاء، وبهذا يكون عدد الموقنين بالإجابة أكبر، لاسيما أن الملائكة مستجابو الدعوة، وكذلك بعض من حضر الصلاة قد يكون مستجاب الدعوة أيضًا، فيستجيب الله لدعائهم ليشمل الجميع.

ولقد دعا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمَّن من خلفه هارون، فاستجاب الله لهما ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾[(٣)] مع أن هارون لم يدعُ، وإنما أمَّن على دعاء موسى فقط، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[(٤)] وهذه الآية فيها دلالة على أن من يؤمِّن على دعاءٍ فهو مثل من دعا الدعاء نفسه.

ولهذا فإن دعوة المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب مستجابة، لأنه عندما

---

(١) [الفاتحة: ٧].

(٢) البخاري: (٧٨٢)، (٤٤٧٥).

(٣) (يونس: ٨٩).

(٤) (يونس:٨٨-٨٩).

يدعو له في ظهر الغيب يؤمن على دعوته مَلَكٌ ويقول: ولك بمثل، والملك دعوته مستجابه.

عَنْ صَفْوَانَ - وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ - قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ»[(١)].

ولقد سنّ لنا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نقول (آمين) بعدما ننتهي من قراءة سورة الفاتحة، وتعني: اللهم استجب. وهي ليست من القرآن، وإنما علّمها جبريل للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلمنا إياها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه السنة في قولنا: (آمين) نعمة وكرم من الله علينا، فعندما يؤمّن الإمام ويؤمّن المأمومون من خلفه على هذا الدعاء، ثم تؤمّن الملائكة، فقد أمَّنوا لدعاء يشمل الجميع، لأن الدعاء جاء بصيغة الجمع ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فيستجيب الله دعاءً يشمل به كل من حضر الصلاة مع الإمام. وهذه فائدة عظيمة من فوائد الصلاة مع الجماعة.

ولذلك عندما نقول: (آمين) بعد قراءة الفاتحة لا بد أن نستحضر الدعاء الذي أمَّنَّا عليه، فقد دعونا الله بضمير الجمع لنا وللمسلمين أن يعيننا على كل أمورنا في العبادات والمعاملات، وكذلك دعونا ربنا بضمير الجمع لنا وللمسلمين أن يهدينا الصراط المستقيم في جميع أمورنا الدينية والدنيوية، صراط الذين أنعم الله عليهم

---

(١) مسلم: (٢٧٣٣).



من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجنبنا صراط المغضوب عليهم وصراط الضالين.

فيجب علينا أن نستفيد مما في هذه السورة العظيمة مما علمنا ربنا سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فلا نختم السورة ونقول: (آمين) إلا وقد حصلنا على ما أعطانا الله عندما يقول سبحانه: **(ولعبدي ما سأل)**.



الخاتمة

من قرأ سورة الفاتحة قراءة يرضاها الله عنه فقد حقق كمال الإيمان بأركانه الستة. الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وحقق كمال العبادة بعون من الله وهداية منه سبحانه للصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، ولهذا سميت الفاتحة بـ(أم الكتاب) لأنها تشمل الدين كله.

فالإيمان بالله يتحقق بتوحيد العبودية لله وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وقد تحقق توحيد العبودية في سورة الفاتحة باعترافنا بأن الحمد كله كائن لله وبقولنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فالعبادة كلها كائنة لله وحده لا شريك له، ومنها الاستعانة بالله والدعاء، فلا نستعين إلا به ولا ندعو إلا إياه.

وتوحيد الربوبية يتحَقَّق باعترافنا أن الله هو رب العالمين، خالق كل شيء، المتصرف والمدبر لكل شيء، وهو مالك الدنيا ومالك يوم الدين، وهو رب الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ورب المغضوب عليهم ورب الضالين.

وتوحيد الأسماء والصفات يتحقق باعترافنا أن الله هو الإله المحمود المعبود، وهو رب العالمين، وهو الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وهو سبحانه المعين الهادي للصراط المستقيم.

والتصديق بما جاء في هذه السورة العظيمة يتضمن الإيمان بقائل هذه السورة، وهو الله، ويتضمن الإيمان بكتب الله، ومنها القرآن الذي يحتوي على



هذه السورة، ويتضمن الإيمان بالملائكة، ومنهم جبريل الذي نزل بهذه السورة على قلب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتضمن الإيمان بالذين أنعم الله عليهم من النبيين ومنهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي نزلت عليه هذه السورة وبلّغنا إياها، ويتضمن الإيمان بيوم الدين، ومن يؤمن بيوم الدين ومالك يوم الدين فقد آمن بالقدر خيره وشره، وبهذا يتحقق كمال الإيمان بأركانه الستة.

وأما تحقيق كمال العبادة لله فيكون أوّلًا بالاعتراف بذلك بقولنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وبعد ذلك بعون الله لنا لتحقيق هذه العبادة في كل حركاتنا وسكناتنا عندما نسأله العون في قراءتنا: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ويكون هذا العون لهذه العبادة على هدى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق ويجحدونه، ولا الضالين الذين لا يعرفون الحق ولم يجاهدوا أنفسهم بالبحث عنه.

وبهذا يكون العبد قد حقق كمال الإيمان وكمال العبادة لله، بعون وهدى من الله في كل حركاته وسكناته منذ أن يستيقظ من نومه حتى يأوي إلى فراشه، فتكون كل أعماله عبادة؛ لأنه أخلصها لله، يمشي بها بنور وهدى من الله، وقد يسّر الله له كل طريق ووفقه في كل عمل، وهداه لكلّ خير، وأبعد عنه كل شر، من حيث لا يحتسب.

فـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ الذي أعطانا هذا النور العظيم في سورة الفاتحة، والذي فُتح له باب لم يُفتح قط إلا يوم أن نزل هذا النور، ونزل به ملك لم ينزل قط إلا في هذا اليوم، ولا يقرأ أحدٌ بحرف منها إلا أُعْطِيَه.

نحمده سبحانه على عظيم كرمه ورحمته بنا في هذا العطاء الواسع.



لذلك وجب علينا أن نحرص على أن نغتنم هذا العطاء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كل حرف من هذه السورة، فنقرأها بتدبر مستحضرين الحمد لله والثناء على الله وتمجيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومستحضرين توحيده سبحانه بالعبادة، وطالبين منه العون والهداية لأفضل الطرق، وهو طريق النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ونبتعد كل البعد عن طريق المغضوب عليهم وعن طريق الضالين.

نسأل الله أن نكون من ضمن هذه الرفقة، رفقة الذين أنعم الله عليهم، وألا نخرج عنها ولا عن صراطهم المستقيم، حتى نمشي على الأرض بنور وهداية من الله في كل خطوة نخطوها، وتكون كل أعمالنا وقراراتنا وخططنا مستمدّة من هذا النور، فنكون مع الذين قال الله عنهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1] ونكون أسعد من يمشي على هذه الأرض، بإذن الله.



(١) (المائدة: ١١٩).



الفهرس

■ المقدمة ٥

■ الاستعاذة ١١

معنى الاستعاذة ١٢

صيغ الاستعاذة ١٢

الاستعاذة باسم (الله) ١٣

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ١٣

فوائد الاستعاذة بالله ١٧

الاستعاذة من الشيطان خِنْزَب ٢١

■ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ ٢٤

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ٢٤

﴿اللَّهِ﴾ ٢٧

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ٢٩

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ ٣٠

﴿الرَّحِيمِ﴾ ٣١

■ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ ٣٥

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ٣٧

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٣٩

■ ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾ ٥٠

■ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ ٥٥

■ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ٦١

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ٦٢

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٦٨

الذكر نوعان: ٧١

■ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ٧٣

الهداية نوعان ٧٤

■ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ٧٧

■ ثمار الهداية لصراط الذين أنعم الله عليهم ٨٤

■ آمين ٨٩

■ الخاتمة ٩٢

■ الفهرس ٩٥

❊❊❊

